معجزة الاسراء والمعراج

دراسة شرعية - عقائدية في احداثها

د. محمد عبد علي ضاحي الدليمي

The Miracle of Prophet Muhammad's (ISRAA'), the Night Journey from Makkah to Jerusalem and the Ascension to the Heaven, legitimate-Doctrine Study in Its Events

Ph.D. Muhammad Abid Ali Dhahi Al Dulaimy

The search deals with the outstanding miracle of the Nation's prophet our master Muhammad (puh) in the (ISRAA') and how it was as an examination for the prophet's companions and also for the disbelievers and what did happen for them of belief and denial

Le miracle de voyage de la nuit (Al Israa) et la nuit de l'Ascension (Al Mïraj) - une étude légitime - idéologique dans ses manifestations

D. Mohammed Abdul Ali Dahi Al-Dulaimi…

Cet article traite le miracle surnaturel de prophète notr seigneur de la nation Muhammad- PSL- dans l'incident d'Israa et de Mïraj et comment c'était une épreuve pour les compagnons de Prophète et pour incroyants et ce qu'on leur a aussi obtenus à partir de la foi et du déni.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد.. فلا ريب في أن الإسراء والمعراج آية عظيمة وامتحان شديد وقع لأصحاب النبي ﷺ وللكفار على السواء، ولا شك أن الكفار لا تزيدهم الآيات إلاَّ عُتُوًا وكفورًا، وأما المؤمنون المصدقون بالله ورسوله ﷺ فإنهم يزدادون بالآيات إيمانًا وتصديقًا. ويمكن القول أنّ معجزة الإسراء والمعراج لا ترتبط في أنوارها بزمن معين، بل هي درس متجدد ورسالة إلهية تدعو البشرية إلى اليقين بنصر الله بعد أن يدفعوا التضحيات الغالية، فمهما حاول الباطل أن يحتال أو يتجبر فإن وراءه قوة الله ﷻ التي ترينا قبة عجائبها.

وقد اعتمدت في هذا البحث المتواضع أصح ما ورد في حادثة الإسراء والمعراج التي وقعت لنبينا محمد ﷺ، محاولا استخلاص الفوائدَ والحِكَمَ من مجريات أحداثها، ومعرفة المصالح الشرعية والأحكام الدينية (فقهًا وعقيدةً) من نصوص أخبارها.

سبب اختيار البحث:

إن سيرة الرسول ﷺ من الأمور التي لا يسع المسلم الجهل بها، بل ينبغي عليه أن يتعرف عليها لما في ذلك من فوائد عديدة، منها:

١- زيادة المحبة لرسول الله ﷺ وذلك بمعرفة حبه لأمته، وكم تحمل من الأذى في سبيل نشر دين الله، إذ لا يتصور أن تحب إنسانًا وأنت لا تعرف عنه شيئًا.

٢- إذا علمت كم بذل من أجل هذا الدين زاد تمسكك به وحفاظك على سنته وهديه.

٣- ناهيك عما تكتسبه وتتعلمه من صفات كان يتحلى بها رسول الله ﷺ في التعامل مع الناس أجمعين، والله ﷻ يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١] إلى غير ذلك من فوائد يضيق المقام عن ذكرها.

ولأنّ الإسراء والمعراج من الأحداث العظيمة في السيرة النبوية، وحيث أنه من الأمور التي يجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان به وبما جاء صحيحًا فيه، حكمه في ذلك حكم كثير من المغيبات، التي نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، ولأنه كغيره من أحداث السيرة لم يسلم من أيدي الوضاعين وألسنة الكاذبين، واختلط الصحيح منه

بكثير من الضعيف والموضوع، فقلما تجد نص القصة كاملة، أو تجده من دون استفادات وإجابة على شبهات، لهذه الأسباب –وغيرها– استعنت بالله ﷻ وعزمت على جمع هذه الأشياء في تأليف واحد، وأسميته بـ: (**معجزة الإسراء والمعراج**: **دراسة شرعية-عقائدية في أحداثها**)، حاولت أن أجمع فيه ما تفرق في غيره، مع الدراسة الشرعية والعقائدي لحوادثها وتفاصيل شؤونها، بعد التمحيص الحديثي لأخبارها ونصوصها، واستنطاق الفوائد والعبر من منطوقها ومفهومها، راجيا من الله أن يجد طالبُ العلم –فضلاً عن العاميّ– في بحثي هذا بغيته ومراده، ويروي غليل تساؤلات خواطره ويشفي بها عليله.

خطة البحث :

وقد اقتضت الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وكما يأتي:

المقدمة: تتضمن تمهيدا للبحث وأسباب اختياره وخطة البحث.

المبحث الأول: في بيان حقيقة الإسراء والمعراج. وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بلفظي (الإسراء) و(المعراج) لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: بيان حادثة الإسراء والمعراج

المبحث الثاني: في بيان الأحكام المتعلقة بالإسراء والمعراج. وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: بيان حكمهما الاعتقادي وحكم مُنكِرهما، وبيان الحكمة فيهما

المطلب الثاني: بيان أبرز الأحكام العقائدية والشرعية المُختلَف فيها المتعلقة بالإسراء والمعراج، وقد وزعته على سبع مسائل، وهي:

المسألة الأولى: هل كان إسراء النبي ﷺ بروحه وجسده أم بروحه فقط ؟

المسألة الثانية: هل كان الإسراء والمعراج يقظة أم مناما ؟

المسألة الثالثة: هل تعددت هذه الحادثة أم لا ؟

المسألة الرابعة: هل كان الإسراء مع المعراج في ليلة واحدة أم لا ؟

المسألة الخامسة: متى كان تاريخ حدوثهما ؟

المسألة السادسة: أين مكان بدء حدوثهما ؟

المسألة السابعة: أفضيلة ليلة الإسراء والمعراج والاحتفال بها، وبيان القصص والروايات المكذوبة فيها.

المبحث الثالث: في بيان الأحداث والمشاهد التي رآها النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وأقوال العلماء في تفاصيلها والدروس والحِكَم المستفادة منها. وينقسم هذا المبحث إلى مسائل متعددة وزعتها على عشرة مطالب:

المطلب الأول: شق صدر النبي ﷺ

المطلب الثاني: البراق والمعراج وأوصافهما
المطلب الثالث: صلاته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس
المطلب الرابع: رؤيته ﷺ للأنبياء عليهم السلام وبكاء موسى عليه السلام بعد رؤيته الرسول ﷺ
المطلب الخامس: عرض الأواني على النبي ﷺ واختياره لقدح اللبن (الفطرة)
المطلب السادس: رؤيته ﷺ للبيت للمعمور في السماء السابعة
المطلب السابع: رؤيته ﷺ سدرة المنتهى
المطلب الثامن: رؤيته ﷺ أنهار الجنة
المطلب التاسع: رؤيته ﷺ لربه أو لنوره ﷻ ، وفرض الصلاة
المطلب العاشر: رؤيته ﷺ للجنة والنار وبعض مشاهدهما
الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي انتهى إليها الباحث في بحثه.

المبحث الأول: بيان حقيقة الإسراء والمعراج

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بلفظي (الإسراء) و (المعراج) لغة واصطلاحا

الإسراء معناه لغة: السير ليلاً، جاء في لسان العرب: (السرى: سير الليل عامة وقيل: السرى سير الليل كله)[1]. وقال أبو الحسين احمد بن فارس: (والسرى: سير الليل، يقال: سريت وأسريت، قال حسان: أسرت إليك ولم تكن تسري)[2]. وفي مختار الصحاح: سرى يسري بالكسر، سُرى بالضم و (مَسرى) بالفتح و (أسرى) أي سار ليلاً[3].

فهو مأخوذ من السرى وهو سير الليل تقول أسرى وسرى إذا سار ليلاً، هذا قول الأكثر، وقال الحوفي: أسرى: سار ليلاً، وسرى: سار نهارًا، وقيل: أسري أي سار من أول الليل، وسرى: أي سار من آخره، وهذا أقرب. وأما قوله: ﴿لَيْلًا﴾ فهو ظرف للإسراء وهو للتأكيد، وأيضًا هو إشارة إلى أن ذلك وقع في بعض الليل لا جميعه، والعرب تقول: سرى فلان ليلاً إذا سار بعضه، وسرى ليلة إذا سار جميعها، ولا يقال أسري ليلاً إلا إذا وقع سيره في أثناء الليل، وإذا وقع في أوله يقال: أدلج[4].

والإسراء اصطلاحًا: هو سير النبي ﷺ على البراق ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالمقدس[5].

وأما المعراج ففي اللغة: فهو مشتق من العروج وهو لغة: الارتقاء والارتفاع، جاء في لسان العرب: (وعرج في الشيء وعليه يعرج ويعرج عروجًا أيضًا، رقي وعرج الشيء فهو عريج ارتفع وعلا... وفي التنزيل: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، المعارج

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، طبعة بولاق، القاهرة: ١٠٣/١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٠م: ١٥٤/٣.

(٣) مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت ١٩٨٢م: ص٢٩٧.

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ط٢: ٢٣٨/٧-٢٣٩.

(٥) ينظر: الإسراء والمعراج، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١: ص١٠؛ وأحاديث الإسراء والمعراج عرض وتحليل، نزار عبد القادر ريان، الجامعة الإسلامية، فلسطين: ص١٩؛ وإضاءة السراج بما جاء في الإسراء والمعراج، جمعه وحققه أحمد بن إبراهيم الجابري، راجعه وقدم له فضيلة الشيخ مصطفى بن العدوى، دار ابن رجب، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦: ص٣٠.

المصاعد والدرج)[1]. وقال صاحب معجم مقاييس اللغة: (العروج الارتقاء يقال: عرج ويعرج عروجًا ومعراجًا: والمعراج: المصعد قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾)[2]. فالمعراج هي آلة العروج.

والمعراج اصطلاحًا: الارتقاء بشخص الرسول إلى السماء وإلى ما شاء الله من السموات العلى، وقيل: هو الارتقاء بمحمد رسول الله ﷺ من المسجد الأقصى إلى السموات فسدرة المنتهى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وحيث فرضت عليه وعلى أمته الصلاة[3].

فالمعراج من العروج، أي الآلة التي يعرج فيها أي: يصعد، وهو بمنزلة السلم، هذا من ناحية اللغة. ولكنه في رحلة نبينا ﷺ يختلف، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته، وأما المعنى الذي جاء ذكره في الأحاديث النبوية، والذي يتحدث عنه العلماء، فمعناه من ناحية الشرع: ما عقب رحلة الإسراء من ارتفاع في طباق السماوات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق، ولا يعرف كنهه أحد[4].

المطلب الثاني: بيان حادثة الإسراء والمعراج

أُسرِي برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا على البُرَاق صُحبَة جبريل عليه السلام، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما، وربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم عُرِجَ به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا فاستفتح له جبريل ففتح له فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته وأراه الله أرواح السُعداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن يساره، ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف فسلم عليه فرد عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة فلقي فيها موسى بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى فقيل له: ما يبكيك

---

(١) لسان العرب: ٣٢٢/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣٠٤/٤.

(٣) شرح العقائد النسفية، للعلامة سعد الدين التفتازاني، المطبعة الأزهرية، مصر، ط١، ١٣٣١هـ: ص٤٧٢؛ والإسراء والمعراج، الغزالي: ص١٠؛ وإضاءة السراج: ص٣١.

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة: ٢٧٠/١.

فقال: ((أبكي لأن غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي))، ثم عرج به إلى السماء السابعة فلقي فيها إبراهيم فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع إلى البيت المعمور، فرأى هناك جبريل في صورته له ستمائة جناح، ثم عرج به إلى الجبار ﷻ فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم:١٠] وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مرَّ على موسى فقال له: "بِمَ أُمرِتَ" قال: "بخمسين صلاة" قال: "إن أمتك لا تطيق ذلك ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك" فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار أن: "نعم إن شئت"، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تعالى فوضع عنه عشرا ثم أنزل حتى مرَّ بموسى فأخبره فقال: "ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف"، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله ﷻ حتى جعل الصلاة خمسا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف فقال الرسول: "قد استحييت من ربي ولكن أرضى وأسلم"، فلما بَعُدَ نادى مناد: "قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي". لقد كلَّم رسول الله ﷺ ربُّه فأعطاه ما أعطاه وكان ممَّا أعطاه الصلاة فكانت قرةَ عين رسول الله ﷺ.

فلما أصبح رسول الله في قومه أخبرهم بما أراه الله ﷻ من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم وضراوتهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاّه الله له حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفورا وأبي الظالمون إلا كفورا[1].

موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج:

إن قريشًا من قبل الإسراء كانت تتربص بالرسول ﷺ وتهزأ بكلامه وبتحذيره إياهم، والآن بعد حادثة الإسراء يالها من غنيمة وفرصة عظيمة وقعت بين أيديهم لتكذيب النبي ﷺ ولجذب المسلمين إلى صفوفهم.

ولكن هيهات، إن نبينا ﷺ مؤيد من قبل ربه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، لقد طلبوا منه وصفًا تفصيليًا للمسجد، مع انه أخبرهم أن زيارته كانت في الليل، ولم تكن المساجد كعصرنا الآن تمتلئ بالإضاءة، والنبي ﷺ لم يرَ المسجد الأقصى في حياته قط إلا هذه المرة، فهل يعقل أن يستطيع إنسانًا أيًا كان أن يعطي وصفًا دقيقًا لمكانٍ ما لم يَرَهُ في حياته إلا دقائق معدودة في ظلمة الليل؟!.

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م: ٣/٣٤-٣٦، ٣٨. وسيأتي تفصيل رواياتها والاختلاف في بعضها في ثنايا البحث.

بل إذا سألتك وأنت في بيتك بعيدًا عن المسجد الذي تصلي فيه يوميا: كم عدد النوافذ والشبابيك التي في المسجد؟! أكاد أجزم أن أحدًا لن يعطي رقمًا صحيحًا، هذا مع إلفه لهذا المسجد وتردده عليه. فبالله كيف يعقل أن يعدها شخص لم يرها إلا مرة في جنح الليل؟!! وهل يسأل مثل هذا السؤال من يريد الحق أم من يريد تعجيز المسئول؟!! فتدبر هذا جيدًا.

لكن الله ﷻ ما كان ليدع نبيه، فجلى الله ﷻ له البيت كما جاء عن النبي ﷺ، قال: "لما كذبتني قريش قمتُ من الحجرِ، فجلا الله لي بيتَ المقدس، فطفقتُ أُخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه"(١)، وكما يقال: الفضل ما شهدت به الأعداء، شهدوا له اعني من زار منهم المسجد الأقصى بأن النعت صحيح ثم ماذا؟! هل بعد ذلك صدقوه وآمنوا به؟! كلا؟ لم يحدث؛ لأن القضية بالنسبة لهم لا تتعلق بشخص النبي ﷺ، وإنما هو التكبر والعناد والجحود بآيات الله، واتباع الهوى، ولذا قال الله عز وجل مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]. ولم يكتفوا بالتكذيب فقط، بل سعوا إلى أصحاب النبي ﷺ يستميلوهم ويوقعوا في أنفسهم تكذيب النبي ﷺ، وقد تَمَّ لهم هذا مع بعض مَن كانوا اسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. وعلى الرغم من جهود المشركين، لتشكيك المسلمين في قول نبيهم ﷺ إلا أنهم لم يجدوا سبيلاً للمؤمنين الذين خالطت قلوبهم حلاوة الإيمان، من أمثال أبي الصديق وغيره من الصحابة المؤمنين الصادقين.

وهنا أحب أن أشير إلى أمر هام، وهو أن هذا الأمر –أعني أمر الابتلاء– قد يكون بشدةٍ أو ضائقةٍ أو حربٍ وقتالٍ أو بأمرٍ مُعجزٍ، هذا الأمر أيا كان قد ذكر الله ﷻ في كتابه الحكمة منه في غير موضع منها: قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[محمد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت: ٢]. والابتلاء هو أول طريق التمكين، كما قال الشافعي رحمه الله حين سئل: أيهما أفضل للرجل؟ أن يبتلي أم يمكن؟! فقال: لا يُمكَّن حتى يبتلى. والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م: برقم (٣٨٨٦)، ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١: برقم (١٧٠).

اليسير بالألم العظيم المستمر[1].

المبحث الثاني: بيان الأحكام المتعلقة بالإسراء والمعراج

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: بيان حكمهما الاعتقادي وحكم مُنكِرهما، وبيان الحكمة فيهما

لقد ذكر الله ﷻ الإسراء والمعراج في القرآن الكريم، إلا أنه ذكر الإسراء صراحةً في أول سورة الإسراء، وذكر المعراج إشارةً في سورة النجم وغيرها[2].

فالإسراء ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، كما هو ثابت في جميع كتب الحديث، وفي مقدمتها صحيحا البخاري ومسلم، فالإيمان به واجب، ومن أنكره كفر، يقول العلامة التفتازاني: (فالإسراء وهو من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب)[3]، ويقول العلامة الألوسي في تفسيره: (فالإسراء إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب، فمن أنكره فهو كفر)[4].

أما المعراج فهو ثابت بالروايات الصحيحة المروية في الصحيحين وبالأحاديث المشهورة ولا يُكفَّر منكره بل يفسق. يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله في كتابه الفقه الأكبر: (وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع وضال)[5]، ويقول الألوسي: (والمعراج ليس كذلك فمن أنكره فليس بكافر بل مبتدع)[6].

فالإيمان بالإسراء والمعراج من عقيدة المسلم الصحيحة، لذا يجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان بهما على نحو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، دون إتباع للهوى أو إعمال للعقل بالشكل الذي يتعارض مع النقل، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو ما كان عليه السلف الصالح، وبين أيدينا كتبهم وأقوالهم تشهد لذلك، فمن ذلك قول الشيخ ابن قدامة المقدسي: (ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك

---

(١) ينظر: زاد المعاد: ٥٩/٢، وإضاءة السراج: ص١١٩-١٢١.

(٢) منها: آية ٦٠ من سورة الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ...﴾.

(٣) العقائد النسفية: ص١٧٥.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م: ١٣/١٥.

(٥) الفقه الأكبر في التوحيد، للإمام أبي حنيفة النعمان، تعليق: محمود عمران موسى، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٩٠م: ص٢٩.

(٦) روح المعاني: ١٤/١٥.

ما عقلناه أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه)[1]، وكذا قول أبي جعفر الطحاوي: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء)[2].

الحكمة من الإسراء والمعراج:

وأما الحكمة منهما فقد ذكر الله ﷻ الحكمة من تلك الرحلة العظيمة، فقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، وأكد ذلك في موضع آخر حين قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨].

وهناك حكمة أخرى ذكرها ربنا ﷻ في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء:٦٠]. ولذا نقول: إن الحكمة من الإسراء والمعراج أن يُرِيَ اللهُ ﷻ نبيّهُ من الآيات الكبرى ما تزيده يقينًا وتروح عنه، ولاسيما وأن هذه الرحلة الكريمة كانت في الفترة المكية وهي من أصعب فترات الدعوة. وأيضًا جاء الإسراء فتنة للناس، فميز الله الخبيث من الطيب، فثبِتَ المؤمنون وكذب المشركون وارتد ضعاف الإيمان.

وأخيرا، أقول: إنَّ هذه المعجزة اشتملت على أكثر من مقصد وحكمة، يمكن تلخيص أهمها بما يأتي:

الأول: مواساة النبي ﷺ على المحن والابتلاءات (فَقْد العزيز والنصير، وشدة تضييق العدو على طول الفترة).

الثاني: تكريم النبي ﷺ وبيان مقامه الشريف عند أهل السماء والأرض، والاحتفال بذلك في حياته ﷺ.

الثالث: تمحيص المؤمنين وتمييزهم عن أهل الشك والشرك.

الرابع: أنه –مع كل ما سبق– تهيئة للنبي ﷺ والمؤمنين لما سيحدث في مستقبل الأيام من الأحداث العظام في طريق سياسة الدولة الإسلامية وقيادة الأمة الفتية إلى برِّ الأمان.

المطلب الثاني: بيان أبرز الأحكام العقائدية والشرعية المُختلَف فيها المتعلقة بالإسراء والمعراج

وقد وزعته على سبع مسائل، وهي كما يأتي:

المسألة الأولى: هل كان إسراء النبي ﷺ بروحه وجسده أم بروحه فقط ؟

---

(١) لمعة الاعتقاد: ص٥٩.

(٢) العقيدة الطحاوية: ص١٩٢.

لقد أشار القرآن الكريم إلى حادثة الإسراء إشارة واضحة وصريحة لا تقبل التأويل ولا مجال فيها للاجتهاد، حيث يقول الله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾، فمذهب جمهور السلف والخلف أن الإسراء كان ببدنه وروحه ﷺ كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج، وغير ذلك ممّا سيأتي.

الأدلة وأوجه الاستدلال في آية الإسراء وغيرها:

١- التسبيح والتعجب في قوله: ﴿ سُبْحَانَ ﴾ إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدل على أنه بالروح والجسد.

٢- قال تعالى: ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ولم يقل (بروح عبده)، ولفظ (العبد) عبارة عن مجموع الروح والجسد، وليس جائز لأحد أن يتعدى ما قاله الله إلى غيره.

٣- قوله تعالى: ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾يرى القسطلاني رحمه الله: (إن الإسراء لا يكون في لسان العربي إلا ليلاً لا نهارًا ليرتفع الإشكال حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه فقط ويزيل من خاطر من أعتقد أن الإسراء ربما يكون نهارًا).

٤- ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء:٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم[١]، وهذا الدليل الصحيح يرد ما جاء ضعيفًا عن معاوية والحسن وغيرهما.

٥- لو كان الإسراء منامًا أو بالروح لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له ولما ارتد ضعاف الإيمان من المسلمين، إذ ليس في ذلك كبير أمر، فدل ذلك على أنه أخبرهم بأنه أسري يقظة لا منامًا[٢].

٦- لو كان الإسراء بالروح ما كان في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته، ولا حجة على رسالته.

٧- لو كان الإسراء بالروح لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام.

٨- يؤيد كون الإسراء بالروح والجسد قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾، والبصر من

---

(١) رواه البخاري: برقم (٣٨٨٨).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، بإشراف مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت: ١١٩/٣.

آلات الذات لا من آلات الروح، قوله أيضًا: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.

٩- ليس في العقل ما يحيل ذلك[١].

وأَمَّا ما يُعزَى لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها من أن الرسول ﷺ أُسري بروحه فقط فلم يرد عنها بسند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع وراو مجهول. وعلى فرض صحته فقد قال السيوطي: (وأما قول عائشة: ((ما فقد جسده)) فعائشة لم تكن حينئذ زوجه بل لعلها لم تكن ولدت بعدُ على الخلاف في الإسراء متى كان)[٢]. وأما رواية يعقوب بن عتبة عن معاوية، فيقول الشامي عن ذلك: أن (يعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية فالحجة منقطعة)، وفي خلاصة الخزرجي أن يعقوب توفي سنة (١٢٨هـ) بينما توفي معاوية سنة (٦٠هـ)، أي بينهما فاصل زمني كبير يبعد في مثله إمكان المعاصرة فضلا عن الرواية عنه مباشرة، أي يوجد انقطاع في السند. فحديث معاوية ليس بأحسن حال من سابقه، بل هو أسوأ حالاً فهو لا يثبت عنه، فإن يعقوب هذا الذي يحدث عن معاوية بينه وبين معاوية عشرات السنين، فكيف يحدث عنه وهو لم يدركه؟![٣].

ثم بعد هذا أقول: إن ما أخرج الناس قديمًا عن قبول الإسراء بالجسد والروح إلا لأنهم ما شاهدوا وما علموا أن الإنسان يستطيع أن يذهب من مكان لآخر مهما كانت المسافة في دقائق أو ساعات معدودة، فلما بعد عن أعينهم مشاهدة وواقعًا استنكروا ذلك بعقولهم، ولكن لينظر المشككون إلى عصرنا الحديث فإن الفرد الآن يستطيع أن يقطع مئات الأميال في جزء من الليل باستخدام وسائل النقل الحديثة، ومن ثم فلا يستبعد على الأذهان الآن حدوث مثل هذا الانتقال لرسول الله ﷺ ولاسيما إذا تعلق الأمر بقدرة الله ﷻ الذي خلق كل تلك الوسائل، والذي علم الإنسان ما لم يعلم. وبهذه الاستدلالات البينات لا نحتاج إلى تأويلات باطلة أو تحريفات زائفة، فالحق: أن الإسراء كان يقظة وكان بالروح والجسد كما تقدم. والله أعلم.

المسألة الثانية: هل كان الإسراء والمعراج يقظة أم مناما ؟

---

(١) قال بهذه الاستدلالات جملة من العلماء، منهم: القرطبي وابن كثير وابن حجر. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ: ١٧٢/١٠؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٣/٣؛ وفتح الباري: ٢٣٧/٧؛ والآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، للإمام السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٩هـ: ص٣٢؛ وإضاءة السراج: ص٣٩-٤٠.

(٢) سبب الضعف جهالة الرواة بين السيدة عائشة وابن إسحاق. ينظر: الآية الكبرى: ص٣٤؛ والبداية والنهاية: ١٢٠/٣.

(٣) فالسند منقطع واضح الانقطاع.

لقد نقل ابن إسحاق -كما ذكرنا في المسألة السابقة- عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ومعاوية أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يُفقَد جسده، ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك، وبناء على هذه النقول -ومثلها- ذهب البعض إلى القول بأن الإسراء والمعراج كان مناما ولم يكن يقظة. والجمهور بخلاف ذلك، أي أسري بروحه وجسده يقظة.

ونقول: قد تبين أنَّ ما يُعزَى لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لم يرد عنها بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاع وراوٍ مجهول، وأنَّ حديث معاوية ليس بأحسن حال من سابقه بل هو أسوأ حالاً فهو لا يثبت عنه. وأما ما ينسب إلى الحسن البصري فإنه أيضًا ضعيف الإسناد إليه[1]، كما أنّ كلام الحسن لا يفهم منه أن الإسراء كان بالروح أو كان منامًا، فإن الحسن قال: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن الإسلام لذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠]، بل قال القاضي عياض في قوله: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص، إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد، لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة[2].

وأما استدلال ابن إسحاق بأنّ رؤيا الأنبياء من الوحي بقصة إبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢] فهذا لا ننكره، ولكن تنزيله الإسراء على أنه منام هذا ما ننكره.

وأراد ابن كثير أن يجمع بين الأمرين (أعني المنام واليقظة) فقال: (ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما جاء في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة منامًا قبله ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبيت والإيناس والله أعلم)، وأورد الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباسرضي الله عنهما قال: (هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة: شجرة الزقوم)[3]. وأما ما جاء في حديث شريك -من ورود لفظ: (استيقظت، أفقت)- فقال الحافظ ابن كثير: (هذا معدود في غلطات شريك، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما جاء في حديث

---

(١) سبب ضعفه هو جهالة الرواة بين إسحاق والحسن.

(٢) ينظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي أبو الفضل عياض، طبعة بيروت: ٢٠٦/١؛ والآية الكبرى: ص٣٣-٣٤.

(٣) صحيح البخاري: برقم (٣٢٣١)؛ ومسلم: برقم (١٧٩٥) عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف فكذبوه فقال: "فرجعت مهمومًا فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب")[1].

وأخيرًا، ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناما وبين أن يقال كان بروحه دون جسده، إذ بينهما فرق عظيم، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ومعاوية لم يقولا كان مناما وإنما قالا: "أسري بروحه ولم يفقد جسده".

وفرق بين الأمرين: فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال. وأما الذين قالوا عرج رسول الله طائفتان: طائفة قالت عرج بروحه وبدنه، وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسري بها وعرج بها حقيقةً وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السماوات سماءً سماءً حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدي الله ﷻ فيأمر فيها بما يشاء ثم تنزل إلى الأرض. فالذي كان لرسول الله ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم، لكن لما كان رسول الله في مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة، فالأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان وروح رسول الله صعدت إلى هناك في حال الحياة ثم عادت وبعد وفاته استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياءعليهم الصلاة، ومع هذا فلها إشراف على البدن وإشراق وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه، وبمثل هذا التعلق رأى النبي ﷺ موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة، والغالب أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد إليه، وإنما ذلك (السماء السادسة) مقام روحه واستقرارها وقبرُه مقام بدنه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها، أي رآه يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة[2].

المسألة الثالثة: هل تعددت هذه الحادثة أم لا ؟

لقد أُختلِف في عدد مرات حصول هذه الحادثة، فذهب بعض المحدثين إلى التعدد ظنًا منهم أن في ذلك جمعا بين الروايات، فيتحصل من ذلك الأقوالُ الآتية:

١. كان الإسراء مرة واحدة.

---

(١) البداية والنهاية: ٣/١١٩-١٢٠.

(٢) ينظر: زاد المعاد: ٢/١٢٨-١٢٩.

٢. قيل: كان مرتين: مرة يقظة ومرة مناما. وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وفيه قوله: "ثم استيقظت"، وبين سائر الروايات.
٣. وقيل: كان مرتين: مرة قبل الوحي؛ لقوله في حديث شريك: "وذلك قبل أن يُوحَى إليه"، ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث.
٤. وقيل: كان ثلاث مرات: مرة قبل الوحي ومرتين بعده.

وكل هذا استدلال غير مستقيم وغير دقيق، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظةً تخالف سياق بعض الروايات جعلوا ذلك مرةً أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عدَّدوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول: "أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي" ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشرا عشرا[١].

المسألة الرابعة: هل كان الإسراء مع المعراج في ليلة واحدة أم لا ؟

قال بعض المتأخرين: كانت قصة الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة، متمسكًا بما ورد في حديث أنس من رواية شريك من ترك ذكر الإسراء، وكذا في ظاهر حديث مالك بن صعصعة[٢].

ولكن حصول ذلك في الأخبار والروايات لا يستلزم انفصال وانفكاك الحوادث المجتمعة، بل هو محمول على أن بعض الرواة قد ذكر ما لم يذكره الآخر. ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء في ليلة واحدة -فيما أخرجه مسلم- من رواية ثابت عن أنس، ومعلوم عند أهل الحديث أن "ثابت" أثبت من شريك في الرواية عن أنس، ولذلك فرواية "ثابت" هي المقدمة عند التعارض، ففي أول الحديث: "أتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس" فذكر القصة إلى أن قال النبيﷺ: "ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا"، قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية ثابت عن أنس، قال البيهقي: (وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به ﷺ من مكة إلى بيت المقدس)، ثم علق ابن كثير قائلاً: (وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية)[٣].

---

(١) ينظر في ذلك: زاد المعاد: ٧٠/٢؛ وتفسير ابن كثير: ٢٢/٣؛ والآية الكبرى: ص٣٥؛ وإضاءة السراج: ص٤٤.
(٢) حيث ذكر قصة المعراج فقط ولم يذكر الإسراء.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤/٣. وقال ابن كثير [البداية: ١٢١/٣]: (وقد فرَّق البخاري بين الإسراء وبين المعراج، فبوب لكل واحد منهما بابًا على حدة، فقال: باب حديث الإسراء، وقول الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وذكر حديثًا عن جابر، ثم قال البخاري: باب حديث

إن الإسراء والمعراج كانا مرة واحدة في اليقظة وبجسده وروحه ﷺ في ليلة واحدة، وبهذا قال جمهور العلماء، وهو الراجح من بين الأقوال، إذ يقول الإمام النووي رحمه الله: (إنه أسرى بجسده ﷺ والآثار قول عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل)، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (بأن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحليه حتى يحتاج إلى التأويل)، وقال الشيخ ابن القيم: (الصواب الذي عليه أئمة النقل: إن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة)، وقال الحافظ السيوطي: (مذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنها وقعا في ليلة واحدة في اليقظة)[1].

المسألة الخامسة: متى كان تاريخ حدوثهما ؟

أما عن تاريخ الإسراء والمعراج، فقد اختلف المؤرخون في تحديد سنته وشهره ويومه، ولم يقم دليل قاطع وصريح على تحديد يوم الإسراء والمعراج ولا سنته وشهره، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (ولم يقم دليل معلوم، لا على شهرها، ولا عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة، مختلفة، ليس فيها ما يقطع به)[2]، وهذا الاختلاف في سنته وشهره ويومه فيه أقوال متعددة، حصرت معظمها على النحو الآتي[3]:

أولاً: أن معجزة الإسراء والمعراج حدثت قبل الوحي إليه ﷺ :

وفيه أقوال منها:

١- معجزة الإسراء والمعراج وقعت قبل مبعثه ﷺ بسبعة أعوام.

المعراج، وذكر حديثًا عن مالك بن صعصعة)، فأقول: قد يفهم من هذا الكلام أن البخاري يرى أن الإسراء كان في ليلة والمعراج في ليلة أخرى، ولكن هذا الفهم خاطئ. والدليل على ذلك أن البخاري رحمه الله بوب في صحيحه بابًا سماه كيف فرضت الصلاة في الإسراء فماذا يعني هذا؟! يقول الحافظ [فتح الباري: ٥٤٨/١] في شرحه لهذه الترجمة: (هذا مصير من المصنف -أي البخاري- إلى أن المعراج كان في ليلة الإسراء، لأن الصلاة فرضت في السماء كما هو معلوم، وهذا يرد على من زعم أن البخاري فرق بين الإسراء والمعراج فجعل كل واحد حدث في ليلة مستقلة).

(١) ذهب إلى هذا الرأي أيضًا: الإمام الطحاوي والعلامة الشوكاني وابن كثير والإمام القرطبي والخازن ومحمد أمين الشنقيطي. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ: ٢٠٩/٢؛ وفتح الباري: ١٥/٧؛ وزاد المعاد: ١٣٠/٢؛ والآية الكبرى: ص٣٥-٣٦؛ وإضاءة السراج: ص٤٥.

(٢) نقل ذلك عنه ابن القيم في زاد المعاد: ٥٧/١.

(٣) ينظر: الآية الكبرى: ص٣٦-٣٨.

٢- إنها وقعت قبل مبعثه ﷺ بخمسة أعوام.
٣- أن معجزة الإسراء والمعراج وقعت قبل مبعثه ﷺ بثمانية عشر شهرًا.
٤- فإن معجزة الإسراء والمعراج وقعت قبل البعثة دون تاريخ معين.

ثانيًا: أن معجزة الإسراء والمعراج وقعت بعد النبوة وقبل هجرة الرسول ﷺ :

وعلى هذا القول ذهب معظم العلماء، إن لم نقل شبه إجماع، إلا أنهم اختلفوا في تحديد زمن الإسراء والمعراج ضمن هذه المدة المحصورة ما بين مبعثه ﷺ وهجرته. وقد اختلفوا في زمن الإسراء والمعراج ضمن هذه المدة من النبوة وقبل هجرته ﷺ على عدة أقوال منها:

١- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت في السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالنبوة، وقد اختاره ابن جرير الطبري.
٢- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت بعد مبعثه ﷺ بخمسة أشهر.
٣- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت بعد مبعثه بخمسة عشر شهرًا.
٤- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت بعد مبعثه ﷺ بثمانية عشر شهرًا.
٥- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت سنة خمس من النبوة.
٦- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت بعد النبوة بست سنوات.
٧- إن معجزة الإسراء والمعراج حدثت قبل هجرته ﷺ بسنة، وهذا القول هو الأكثر شيوعًا وقبولاً.

ثالثًا: إن الإسراء والمعراج كانا بعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة :

جاء ذكر هذا القول في المواهب اللدنية بناءًا على رواية عند الترمذي والنسائي، تفيد إن الإسراء والمعراج قد حصل بعد الهجرة، فيميل الحافظ ابن حجر إلى عدم قوة هذه الرواية فيقول: (الذي يتحرر من هذه المسألة أن الإسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابًا بابًا، ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سماء، ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات، ولا طلب تحقيقها، وسائر ما يتعلق في ذلك. فالظن الراجح أن الإسراء والمعراج الذين حصلا بعد الهجرة إنما كان في المنام لا باليقظة كما حصل قبل الهجرة. والله أعلم)[1]. ثم نقول: لم نقف في هذا الباب على حديث واحد صحيح أو ضعيف مرفوع إلى النبي ﷺ، وكذلك لم ينقل أحدٌ من السلف الصالح تحديدًا لتاريخ الإسراء في حديث مرفوع، ولم يرد نص موقوف على أحد من الصحابة بذلك اللهم إلا ما يأتي:

---

(١) ينظر: فتح الباري: ١٩٨/٧.

١- ما أخبر به السيوطي فقال: وعند ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (هو عبد الله بن عمرو بن العاص) قال: "أسري بالنبي ﷺ ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة". فلو صح هذا الإسناد لتعين المصير إليه، إذ لا يعلم قول لأحد من الصحابة -باستثناء القول القادم- سوى هذا القول، ولكن لم يشر أحد إلى هذا القول إلا السيوطي[١].

٢- ما أخبر به ابن كثير فقال: (عن جابر وابن عباس قالا: "ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر وفيه مات"، ثم قال الحافظ ابن كثير: فيه انقطاع)[٢].

وفيما عدا هذين القولين فباقي الأقوال جاءت عن التابعين ومن بعدهم، وهذه الأقوال تختلف مع بعضها، لذا قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: (لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به)[٣].

فنستطيع من جميع ما سبق أن نقول عن تاريخ الإسراء كما قال ابن إسحاق: (أسري به وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل)[٤]، وأن تحديد ليلة الإسراء تحديدًا جازمًا دقيقًا (اليوم والشهر) هو أمر عسير بل هو درب من خيال، فما يفعله المسلمون اليوم من تحديد ليلة السابع والعشرين من رجب على أنها ليلة الإسراء إنما هو قول غير دقيق وليس فيه دليل، وأما عن سنة حدوثها فأقرب الأقوال أنها وقعت بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة واحدة، وهو المشهور لدى أهل العلم[٥].

المسألة السادسة: أين مكان بدء حدوثهما ؟

وأما عن تحديد المكان الذي بدأ منه الإسراء، فقد امتد خلاف العلماء إليه فظهرت فيه أقوال متعددة، وان كانت تصب في دائرة واحدة هي البقعة المباركة (المسجد الحرام)، وقد اُختلِف أقوالهم في ذلك، إلا أنه لا خلاف بين العلماء في أن الإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بدليل نص القرآن الكريم. وهذه الأقوال كما يأتي[٦]:

---

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تصحيح الشيخ محمد الغمراوي، طبعة دار المعرفة، بيروت: ٢٧٦/٤.

(٢) البداية والنهاية: ١١٣/٣. والمنقطع ضعيف كما هو معلوم عند علماء الحديث.

(٣) نقله ابن القيم عنه في زاد المعاد: ٥٧/١.

(٤) نقله ابن كثير في البداية: ١١٤/٣، والنووي في شرحه لمسلم: ٤٥٤/١.

(٥) ينظر: إضاءة السراج: ص٤٧-٥٠.

(٦) ينظر: الآية الكبرى: ص٣٨.

١- الإسراء والمعراج بدأ من المسجد الحرام.
٢- الإسراء والمعراج بدأ من الحِجْر.
٢- الإسراء والمعراج بدأ من الحطيم.
٤- الإسراء والمعراج بدأ من بيت أم هانئ.

ولا يبعد أن تكون كل هذه الأماكن داخلة في حدود المسجد الحرام سواء كان دخولها حقيقيًا أو تجوزًا، وذلك لأن إطلاق لفظ المسجد الحرام على دور مكة وعلى الحرم حولها ليس من قبيل الحقيقة اللفظية بل من باب التغليب المسوغ للمجاز المتوسع فيه. لكنا نقول: لقد أسري برسول الله ﷺ من مكة، وهذا لا خلاف فيه لأن القرآن جاء بذلك، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾ [الاسراء: ١]، ثم حدث خلاف في تحديد المكان بمكة، حاصله أن المكان جاء ذكره في عدة أحاديث، منها[١]:

١-حديث أبي ذر: ((فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ))... الحديث[٢].
٢-حديث مالك بن صعصعة: ((بينَمَا أنا في الحَطِيم وربَّمَا قال فِي الحِجْر مُضْطَجِعًا إذْ أَتَانِي آت))الحديث[٣].
٣-حديث أنس بن مالك من رواية شريك: ((جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو في المسجد الحرام))[٤].
٤- رواية الواقدي أنه: ((أسرِيَ به من شِعب أبي طالب))[٥].
٥-حديث أم هانئ: ((ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة))[٦].

فكيف الجمع بين هذه الأقوال؟!

والجواب: أنه قبل أن نتكلف في الجمع بين هذه الأقوال لابد أن نتثبت من صحة تلك الأخبار، والحاصل أن القولان الأخيران ضعيفان فلا نحتاج إليهما، والقول الثالث: حديث شريك هو من أخطاء شريك التي لم يتابع عليها، وبهذا فهو ليس بأحسن حالاً

---

(١) ينظر: السراج الوهاج في حقائق الإسراء والمعراج: لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار بوسلامة، تونس، ط١، ١٩٨٣م: ٢٤٣/٧؛ وإضاءة السراج: ص٥٢.
(٢) رواه البخاري: برقم (٣٤٩).
(٣) رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).
(٤) رواية شريك بها غلطات وأخطاء وألفاظه لم يتابعه أحد عليها، وقد ذكرها الحافظ في فتح الباري: ٤٩٤/١٣.
(٥) ذكرها الحافظ في فتح الباري: ٢٤٣/٧، وهي مردودة لأن الواقدي متهم ولم يتابع على ذلك.
(٦) تكلم عن هذه الرواية ابن كثير. ينظر: تفسيره: ٢٢/٣.

من صاحبيه السابقين.

وبهذا يصفو لنا من هذه الأقوال: القولان الأولان وهما صحيحان، ويمكن أن يجمع بينهما بسهولة فنقول: أنه نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في بيته فأخرجه إلى الحجر -وهو الحطيم- حيث شق صدره هناك وركب البراق وبدأ رحلة الإسراء، والله أعلم.

المسألة السابعة: أفضلية ليلة الإسراء والمعراج، والاحتفال بها، والقصص والروايات المكذوبة فيها

لقد كانت الحكمة من هذه الرحلة أن يرى النبي ﷺ من آيات ربه ما يلقي السكينة والثبات على قلبه، فيعنيه ذلك على ما سيلقى من محن قادمة، وأيضًا: كأن الله ﷻ يريد أن يقول لنبيه حالاً -لا كلامًا-: لا تحزن! فإن كان أهل الأرض يؤذوك ويكذبوك فإن أهل السماء يرحبون بك ويحيوك. وقد ظهر جليًا في تلك الرحلة شرف النبي ﷺ وتكريم الله له، نرى ذلك في عدة مشاهد في تلك الرحلة، منها:

١- صلاته إمامًا بجميع الأنبياء.

٢- ظهوره وارتقاؤه في السماوات العلى إلى مستوى لم يصل إليه أحد من الأنبياء.

٣- دخوله الجنة وهو لا يزال في تلك الحياة.

٤- إعطاء الله ﷻ له الكوثر، ورؤيته في تلك الرحلة.

إلى غير ذلك مما نستطيع أن نستخلصه من الأحداث التي ذكرناها أو سنذكرها، ولذلك فإن بعض أهل العلم يرون أن تلك الليلة ليلة الإسراء والمعراج أفضل في حق نبينا ﷺ من ليلة القدر وهي ما هي، وقد أجاب الشيخ ابن تيمية رحمه الله عن هذا السؤال بما ملخصه: أن القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر:

أ- إن أراد أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي ﷺ ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر فهذا باطل، لم يقله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الإسلام. هذا إذا كانت ليلة الإسراء تُعرَف عينها، فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عينها، بل النقولات في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يُقطَع أو يُجزَم به، ولا شُرِعَ للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره، بخلاف ليلة القدر فانه حثَّ على كثرة العبادة والدعاء فيها، إذ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان))[1]، وأيضًا جاء عنه ﷺ أنه قال: ((من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا

(١) رواه البخاري: برقم (٢٠١٧)؛ ومسلم: برقم (١١٦٩).

غفر له ما تقدم من ذنبه))[1]، وقد أخبر سبحانه أنها خير من ألف شهر وأنها أنزل فيها القرآن.

ب- وإن أراد أن الليلة المعينة (التي أسري فيها بالنبي ﷺ وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها) أنها أفضل من ليلة القدر في حق نبينا ﷺ -مِن غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة- فهذا صحيح؛ إذ ليس إذا أعطى اللهُ نبيَه ﷺ فضيلةً في مكان أو زمان، يجب أن يكون ذلك الزمان والمكان أفضل من جميع الأمكنة والأزمنة. هذا إذا قُدِّر أنه قام دليل على إنعام الله على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر، وغير ذلك من النعم التي أنعم عليه بها. والكلام في مثل هذا يحتاج إلى علم بحقائق الأمور، ومقادير النِعَم التي لا تُعرَف إلاَّ بوحي، ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيها بلا علم[2].

وأما عن الاحتفال بليلة الإسراء فقد ذكرنا -فيما مضى- أنّ ليلة الإسراء لم يقم دليل معلوم على تعيينها، فإذا أراد شخص الاحتفال ففي أي ليلة سوف يحتفل؟!! لكن لنفترض أنه تم الاتفاق على ليلة، فهل كان النبي يخص تلك الليلة بشيء من العبادة أو الاحتفال؟! أو هل فعل ذلك أحد صحابته الكرام أو أحد من التابعين لهم بإحسان؟! يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: (ولم يشرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره. ثم قال: ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت. ثم قال شيخ الإسلام: ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات، كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله)[3].

قلتُ: وهذا الذي ينبغي أن يُراعَى في كل أمور المسلمين وشعائرهم الدينية، فلا عبادة ولا فضيلة لشيء إلاَّ إذا ثبت ذلك بنقل صحيح سليم، ولكن لا ضير في إقامة ذكرى حادثة الإسراء والمعراج -وغيرها من أحداث الإسلام-، بشرط أن يكون ذِكْرُها والاحتفاء بها مُراعيا فيه ما يأتي[4]:

١. أن يكون هذا الاحتفاء على سبيل التعريف بسيرة الرسول ﷺ والتعريف بأيام الإسلام

---

(١) رواه البخاري: برقم (١٩٠١)؛ ومسلم: برقم (٧٥٩).

(٢) نقله عنه ابن القيم. ينظر: زاد المعاد: (١/٢٠-٢١).

(٣) ينظر: زاد المعاد: ١/٢٠.

(٤) ما ذكرتُه من الشروط والضوابط تكاد تكون ممّا لا خلاف فيه؛ فقد استقرأتها من نصوص القرآن والسنة الواضحة، وفيها تحقيق للمصالح الشرعية المرعية عند المجيزين والمانعين.

وتاريخ دوله والتعريف بفضائل الأحداث العظام، لما في ذلك من استلهام العبر والفوائد والاقتداء بهدي النبي ﷺ، مع ضرورة اجتناب أن تُتخَذ هذه الذكرى عيدا – في زمانها أو مكانها أو أفعالها– وتحذير الناس من ذلك.

٢. أن لا يُصاحب ذلك شيءٌ من المنهيات والبدع.

٣. ضرورة تعريف الناس بحدود الشرع والسنة الصحيحة في مثل هذه الأيام والأحداث والمناسبات الدينية.

٤. والأولى أن يكون ذلك لأجل الدعوة وإرشاد الناس إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

قصة الإسراء والمعراج المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما:

قد يطالع بعض الناس كتيبًا يحمل عنوان (الإسراء والمعراج، للإمام ابن عباس)، ولعلو مكانة ابن عباس رضي الله عنهما في القلوب فإن كثيرًا من المسلمين قد افتتنوا بهذه القصة؛ وقبلوها كما هي دون بحث أو سؤال عن صحتها، ومن المؤسف أنّ هذه القصة انتشرت بين المسلمين؛ فهي قصة موضوعة ومنسوبة كذبًا لابن عباس، لأنه لا وجود لتلك القصة بهذه الصورة في أي ديوان من دواوين السنة التي بين أيدينا، وقد احتوت هذه القصة على: أجزاء قليلة جدًا صحيحة، ومعظمها من الضعيف والموضوع، وهناك أيضًا أجزاء منها لا وجود لها في الصحيح ولا في الضعيف بل تفرد بوضعها كاتب تلك القصة، وسوف أكتفي بالإشارة إلى بعض الأمور التي تهدم تلك القصة على سبيل المثال لا الحصر[1]:

١- القصة ليس لها إسناد يحكم به عليها، بل كما ذكرت لا وجود لها بهذا الشكل في كتب السنة، وهذا السبب كافٍ عند أهل العلم بالحديث لأن تطرح القصة برمتها ولا تقبل.

٢- جاء في بداية القصة تحديدًا جازمًا بتاريخ الإسراء حيث قال: ((ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة))، ولا أدري من أين له هذا التحديد؟! فقد مرت بنا أقوال العلماء في هذا!.

٣- قوله في تلك القصة: ((يا براق هذا حبيب الله ورسول رب العالمين، أفضل من أهل السماوات والأرضين قبلته الكعبة...))، وكما هو متفق عليه أنّ القبلة في الفترة المكية كانت إلى بيت المقدس، والإسراء كان في الفترة المكية، ولم يتم تحويل القبلة إلا في الفترة المدنية، فهل غفل عنها ابن عباس؟!.

٥- ذكر واضع القصة وصفًا عجيبًا للملك الموت، بل وصرح بأن اسمه عزرائيل، وهذا الوصف وتعيين الاسم لم يأتِ في حديث صحيح أو ضعيف، والصواب أنه لم يثبت اسمًا لملك الموت.

٦- ومن الأشياء الباطلة المكذوبة الواضحة الكذب قول واضع القصة أن النبي ﷺ قال:

---

(١) ينظر: إضاءة السراج: ص١٩٠-١٩١.

((فسمعت نغمة كنغمة أبي بكر الصديق، فقلت: يا الهي وسيدي أمعنا أبو بكر؟! فقال: لا يا محمد أنت في مكان لا يصله أبو بكر ولا غيره، لكن علمت أنه ليس في الناس أحب إليك من أبي بكر، فأسمعتك مثل صوته كي لا تخاف وليطمئن قلبك))، وقد حدّث الشيعة بهذا الحديث لكنهم استبدلوا عليًّا بأبي بكر.

٧- في نهاية القصة ذكر موقفًا عجيبًا حيث قال: ((وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حوله وهو بينهم كالقمر، وهم حوله كالنجوم، وأسلم في ذلك اليوم أربعة آلاف رجل، وضجت الملائكة في السماوات بالتهليل والتكبير إكرامًا للبشير النذير))، وهذا ليس تفرد من واضع القصة فقط، بل ومخالف لما ثبت من ارتداد بعض ضعاف الإيمان.

وفي هذا القدر كفاية، فليحذر كل مسلم -فضلا عن طالب علم- من ترديد مثل هذه الأكاذيب أو تصديقها أو نشرها.

المبحث الثالث: بيان الأحداث والمشاهد التي رآها النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وأقوال العلماء في تفاصيلها ، والدروس والحِكَم المستفادة منها

المطلب الأول: شق صدر النبي ﷺ

يروي تلك الواقعة أبو ذر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ...)) الحديث، ورواها أيضًا مالك بن صعصعة ﷺ في حديث الإسراء[1].

لقد كان شق صدر النبي ﷺ قبل أن ينطلق النبي ﷺ كنوع من التهيئة النفسية والجسدية لهذه الرحلة العظيمة وما سيتلقى فيها من الآيات. لكن ينبغي أن تعلم قبل الحديث عن هذه الحادثة العظيمة أن شق الصدر في ليلة الإسراء لم يكن المرة الأولى التي يحدث فيها للنبي ﷺ فقد تعرض لمثل هذا من قبل في طفولته.

والذي نستطيع استنتاجه من هذه الآثار[2] أن بشرًا ممتازًا كمحمد ﷺ لا تدعه العناية غرضًا للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس، وأحاديث شق الصدر تشير إلى شيء من الحصانات التي أضافها الله على محمد ﷺ فجعلته من طفولته بنجوة قصية عن مزالق الطبع الإنساني ومفاتن الحياة الأرضية. فالحكمة في شق الصدر الثاني فكان لاستعداده للتلقي الحاصل في تلك الليلة[3]، وقال ابن أبي جمرة: (والحكمة في شق قلبه مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانًا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من

---

(١) رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).

(٢) قال الحافظ: رجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند حليمة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين، وهو الصواب. ثم استطرد الحافظ فذكر أن ذلك تكرر أكثر من مرتين، فقال: وروى الطيالسي والحارث في مسنديهما عن عائشة أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء. وقلت: إسناد هذا إلى عائشة ضعيف. قال: وروى الشق أيضًا وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب. قلت: إن إسنادها تالف لا يصلح. قال الحافظ: وروى مرة خامسة لا تثبت. قلت: فعلى هذا –ومن بين جميع ما تقدم– فالصحيح الثابت أن حادثة شق صدره الشريف ﷺ وقعت مرتين، وتفصيلهما كما يلي: الأولى: عندما كان صغيرًا عند مرضعته وحاضنته حليمة السعدية. قال الحافظ: وهذا الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها: "هذا حظ الشيطان منك"، الثانية: قبل تحركه للإسراء به إلى بيت المقدس. ينظر: فتح الباري: ١/٥٤٩.

(٣) ينظر: فتح الباري: ١/٥٤٩.

جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً)[1].

وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية قدرة الله لذلك فلا يستحيل شيء من ذلك عليه. ولا يلتفت لإنكار الشق عليه ليلة الإسراء لأن رواته ثقات مشاهير[2].

الفوائد المستفادة من هذه الحادثة:

١. في هذه القصة -يعني شق الصدر- أدل حجة وأوضح برهان وأصح دليل على مذهب أهل الحق من أن الموت والحياة وسائر الأشياء من فعل الله تعالى وخلقه محضًا، ولا يشترط لوجودهما شرط لا يوجدان إلا معه البتة إلا من حيث أجرى الله العادة حتى إذا شاء فرقها وأنفذ قدرته كيف شاء وكانت بمجرد قدرته وإرادته خلافًا للفلاسفة ومن ضارع مذهبهم من المعتزلة[3].

٢. فيه إشارة إلى فضل ماء زمزم.

٣. جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما -مع أنها أمور معنوية- وهذه صفة الأجسام، ومعنى هذا والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما، فسُمِّي إيمانًا وحكمة لكونه سببًا لهما. وقد يكونا مثلا له، بناءً على جواز تمثيل المعاني كما يمثل الموت يوم القيامة كبشًا[4].

٤. شق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه، بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض وهذه حقيقة.

٥. الحكمة في انفراج سقف بيته ﷺ الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بلا معالجة.

٦. الحكمة في اختصاص الطست أنه أشهر آلات الغسل عرفا، والذهب لأنه أغلى أنواع الأواني وأصفاها، ولأن فيه خواص ليست في غيره منها أنه من أواني الجنة،

---

(١) نقله عنه الحافظ في فتح الباري: ٢٤٦/٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٧/٧؛ والآية الكبرى: ص٣٩-٤٠؛ وإضاءة السراج: ص٥٤.

(٣) قاله القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم: ٥٠٧/١.

(٤) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ٤٥٩/١؛ وفتح الباري: ٥٤٩/١. ويشير الحافظ إلى حديث أبي سعيد الخدري حين قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟! فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟! فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾)). [البخاري: برقم (٤٧٣٠)؛ ومسلم: برقم (٢٨٤٩)].

وأنه لا تأكله النار ولا التراب ولا يصدأ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي. وإن نظر إلى لفظ (الذهب) ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه وإن نظر إلى معناه فلوضائته ونقائه وصفائه ولثقله والوحي ثقيل. وأما تحريم استعمال الذهب فهو مخصوص بأحوال الدنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلتق بأمور الآخرة[١].

٧. أورد الحافظ سؤالاً فقال: هل كان شق صدره وغسله مختصًا به أو وقع لغيره من الأنبياء؟! ثم قال: اختلف في ذلك، لكن وقع عند الطبري في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي يغسل فيها قلوب الأنبياء، وهذا مشعر بالمشاركة[٢]. وهذا استدلال قوي لو سلم صحة خبر هذا التابوت، ولكن الصحيح بعد التحقيق أن هذا الخبر جاء عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدًّا[٣]، ولذا فلا يعتد به. وإن كنا لا نستبعد أن يحدث هذا لباقي الأنبياء، لكننا لا نقفُ ما ليس لنا به علم فما ثبت بنقل صحيح قلنا به، وما لم يثبت نتوقف فيه.

المطلب الثاني: البراق والمعراج وأوصافهما

البراق :

بعد أن تمت التهيئة المناسبة للنبي ﷺ لهذه الرحلة، أتى بوسيلة النقل التي سوف ينتقل عليها، لكن الأليق في رحلة عظيمة غير عادية كهذه أن تكون وسيلة النقل أيضًا غير عادية ولها مواصفات خاصة لتتناسب مع هذه الرحلة الخاصة، لذا انتقل النبي ﷺ مع جبريل[٤] على البُرَاق. فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((أتيت بالبُرَاق))[٥].

وليس هناك دليل نقلي ثابت عن سبب تسمية (البراق)، غاية ما جاء في هذا أقوال لأهل العلم ذكرها الحافظ ابن حجر[٦]، منها:

١. قيل: مشتق من البريق، فقد جاء في لونه أنه أبيض.

---

(١) ينظر: الآية الكبرى: ص٤٠.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٤٦/٧.

(٣) وهذا الإسناد فيه الحكم بن ظهير قال عنه الحافظ: متروك. وقد رواه الطبري من طريق آخر لكن جعله من قول السدي، فقال: حدثني موسى بن هارون، وهذا الإسناد أيضًا ليس بالقوي، فموسى بن هارون صدوق ربما أخطأ، وعمرو هو ابن طلحة القناد: صدوق رمي بالرفض، وأسباط هو بن نصر: صدوق كثير الخطأ يغرب. وعلى الرغم من هذا فحتى لو صح السند فهو من قول السدي فلا تقوم به الحجة.

(٤) ظاهر الأحاديث يدل على أن جبريل عليه السلام، كان على ظهر البراق مع النبي ﷺ كما تقدم في حديث حذيفة قوله: ((ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء))، وفي لفظ: ((فحمله عليها جبريل أحدهما رديف صاحبه)).

(٥) رواه مسلم: برقم (١٦٢).

(٦) ينظر: فتح الباري: ٢٤٦/٧؛ والآية الكبرى: ص٤٠؛ وإضاءة السراج: ص٥٩.

٢. أو: من البرق لأنه وصفه بسرعة السير.
٣. ويحتمل أن لا يكون مشتقًا.

أما عن وصف البراق فقال رسول الله ﷺ: ((دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل...))، وعن سرعته قال النبي ﷺ: ((يضع حافره عند منتهى طرفه))[١] أي: يضع رجله عند منتهى ما يراه بصره.

قلت: هذا ما جاء صحيحًا عن البراق، ولم يأتِ وصف آخر صحيح له، بل كل ما جاء غير ذلك من الأخبار الواهية التي لا تصلح، وقد ذكر الحافظ بعضًا منها وأشار إلى ضعفها[٢].

أما الحكمة في الإسراء بالنبي ﷺ راكبًا مع قدرة الله على طي الأرض له، فهي إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيسًا له بالعادة في مقام خرق العادة، لأن العادة جرت بأن المَلِكَ إذا استدعى مَن يختص به يبعث إليه ما يركبه[٣]. فقدرة الله كانت صالحة لأن يصعد النبي ﷺ بنفسه من غير براق، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه، لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماشي، والراكب أعز من الماشي.

المعراج :

لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة -مما وقفنا عليه- ما يدل على طريقة المعراج أو وسيلته[٤]، إلا ما جاء عن حذيفة ﷺ أنهما أي جبريل والنبي ﷺ صعدا على البراق، والذي جاء إلينا صحيحًا هو قول النبي ﷺ: ((ثم عرج بنا إلى السماء))[٥]، وفي رواية: ((ثم أخذ -أي جبريل- بيدي فعرج بي إلى السماء))[٦]. فلهذا، نحن نؤمن بالمعراج، وإن كنا لا ندري كيف كان، وأرى أنه من المفيد أن نعيد هنا قول ابن أبي العز رحمه الله حين قال عن المعراج: (ولا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم

---

(١) هو من حديث أنس السابق.
(٢) فتح الباري: ٢٤٧/٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢٤٦/٧.
(٤) جاء في وصف المعراج خبر ضعيف عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا إلى النبي ﷺ في حديث المعراج: "ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم يرَ الخلائقُ أحسنَ من المعراج، ما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء، فإنما يشق بصره طامحًا إلى السماء عجب بالمعراج...." قال ابن كثير في التفسير (١٣/٣): رواه البيهقي في "الدلائل"، وابن جرير في تفسيره، وأبن أبي حاتم عن أبيه، جميعهم من طرق قلت: مدار هذه الطرق كلها على أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين وهو متروك.
(٥) حديث أنس، رواه مسلم: برقم (١٦٢).
(٦) حديث أبي ذر، رواه البخاري: برقم (٣٤٩).

غيره من المغيبات نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته)[1].

قلت: وإننا نرى الآن في عصرنا هذا كيف يصعد الإنسان مئات الأدوار في دقائق معدودة باستخدام المصاعد الحديثة مثلاً، ونرى أيضًا تلك الصواريخ التي تشق الفضاء وتقطع مئات الأميال في السماء في دقائق بل في ثوان معدودة، فإذا كان هذا حال الإنسان الضعيف العاجز فلا يستبعد على قدرة الله ﷻ وهو الذي خلق كل صانع وصنعته، وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم أن يرفع نبيه ﷺ من الأرض إلى السماء في طرفة عين، فإنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

المطلب الثالث: صلاته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس

وصل النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام إلى بيت المقدس، ونزلا من على البراق، وقبل أن يتوجه النبي ﷺ لأي مكان، قام بربط البراق. ودليل هذا قوله ﷺ: ((فربطته أي البراق بالحلقة التي يربط به الأنبياء)).

وأيضًا قال النبي ﷺ: ((ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين))[2]، وجاء في حديث أخر ما يفيد أنه صلى إمامًا بالأنبياء في المسجد الأقصى، حيث قال ﷺ: ((وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء...، فحانت الصلاة فأممتهم))[3]، وهذا دليل واضح على أن صلاته بالأنبياء كانت قبل المعراج، لكن خالف ابن كثير هذا، فقال: (والصحيح أنه إنما اجتمع بالأنبياء في السماوات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه وصلى بهم فيه، ثم إنه ركب البراق وكر راجعًا إلى مكة)[4]، والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كانت قبل العروج، وأما كلام ابن كثير فيحتاج إلى إثبات أو دليل عليه، وهو يفتقد هذا.

وأيضا هناك أحاديث تثبت ربطه ﷺ للبراق وصلاته بالمسجد بينما حذيفة بن اليمان أنكر ذلك، فكيف نجمع بين إنكار حذيفة وما ثبت بعكس كلامه وإثبات ما نفاه؟

قال البيهقي: (وكأن حذيفة لم يسمع صلاته في بيت المقدس، وقد روينا في الحديث الثابت عن أبي هريرة وغيره أنه صلى فيه، والخبر المثبت أولى من النافي)[5]، فكلام حذيفة لم يسنده عن النبي ﷺ فيحتمل أنه قاله عن اجتهاد. والمثبت مقدم على النافي، يعني: من أثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادةُ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٢٧٠/١.
(٢) جزء من حديث أنس، رواه مسلم: برقم (١٦٢).
(٣) رواه مسلم: برقم (١٧٢).
(٤) تفسير ابن كثير: ١٦/٣.
(٥) دلائل النبوة، للإمام البيهقي، تحقيق د.عبد المعطى قلعجي، طبعة دار الريان للتراث: ١١٦/٢.

علمٍ على مَن نفى ذلك، فهو أولى بالقبول[1]. قلت: وأما إدعاء حذيفة ﷺ: بأن النبي ﷺ لو صلى فيه لفرضت على الناس الصلاة هناك، فهذا ليس بمستلزم، إذ إن فعل النبي ﷺ لا يؤخذ منه الوجوب كحكم عام للأمة كما هو معلوم عند أهل الأصول.

الفوائد والحِكَم المستفادة من هذه الحادثة :

١. وفي ربط النبي ﷺ البراق –مع أنه مسخر له من قبل الله– أخذٌ بالاحتياط في الأمور وتعاطي للأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى[2]. وينبغي الالتفات إلى قول النبي ﷺ: ((التي تربط به الأنبياء)) فهذا دليل على توكل الأنبياء جميعًا، وأنهم سبقوا نبينا ﷺ بهذا الفعل[3]، وهذه رسالة إلى المسلمين اليوم أن يأخذوا بالأسباب مع الاعتماد على رب الأسباب ومسببها، وكما قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

٢. في تقديم النبي ﷺ للإمامة فيه إظهار لفضله عليهم، وهذا متفق مع قوله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم))[4].

٣. أما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج، فقد ذُكِرَت في ذلك أقوال

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١١/٣؛ وفتح الباري: ٤٧/٧. وقد ذكر الشيخ الالباني رحمه الله تعليقًا لطيفًا على حديث حذيفة في كتابه (الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها، المكتبة الإسلامية،٢٠٠٠م–١٤٢١هـ: ص٦٤) فقال: (واعلم أن في حديث حذيفة هذا عبرة بالغة، وهي: أن الصحابي قد يقول برأيه ما يخالف الواقع المروي عند غيره، من أجل ذلك كان المتفق عليه بين العلماء: أن المثبت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ).

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٥٣/١.

(٣) استدل الحافظ ابن حجر بقوله ﷺ: ((فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء...)) على أن البراق كان يمتطيه الأنبياء قبله، ولكن ليس هذا بدليل صريح على ما يدلل عليه الحافظ، فقد يحتمل أنهم كانوا يربطون دوابهم أيا كانت بتلك الحلقة. وهناك دليل آخر ساقه وهو ما جاء عن أنس ﷺ أنه قال: ((أتي النبي ﷺ بالبراق ليلة أسري به مسرجًا ملجمًا ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما يحملك على هذا؟! فوالله ما ركبك أحد قط أكرم على الله منه، فأرفض عرقًا))، أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره": ٣٧٢/٢؛ وأحمد في "مسنده"، المطبعة الميمنية، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م: ١٦٤/٣؛ وعبد بن حميد في "مسنده": ٣٥٧/١؛ والترمذي في "سننه": برقم (٣١٣١)؛ وابن حبان في "صحيحه": برقم (٤٦)؛ والطبري في "تفسيره": ٧/٨؛ والآجري في "الشريعة": ص٤٨٨؛ كلهم أخرجه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس به. وقال الترمذي عقب إخراجه: (هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق). وعبد الرزاق من الأثبات إلا أنه اختلط بآخره، وكان يلقن فيتلقن، وأما معمر: فقد ضعف في روايته عن قتادة. فلتلك الأوجه يكون هذا الحديث ضعيفًا، فلا يصلح للاستدلال به، وفي حديث أبي سعيد قوله ﷺ: ((كانت الأنبياء تركب قبلي)) ولكنه حديث موضوع. وهناك أدلة أخرى ذكرها الحافظ ليس فيها ما تقوم به الحجة.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٦/٣، والحديث رواه مسلم: برقم (٢٢٧٨).

كثيرة، ومنها ما يأتي[1]:

أ . الحكمة في ذلك أن يجمع ﷺ في تلك الليلة بين رؤية القبلتين.

ب. أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل.

ج. أو لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق بذلك.

د. أو ليجتمع بالأنبياء جملة.

هـ. وهو أقوى ما قيل في هذا الأمر وأقربه للصواب –وهو ما ذكره ابن أبي جمرة رحمه الله– حين قال: (الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند)[2].

٤. وفي كون (رحلة الإسراء ليلا) فائدة أشار إليها الحافظ ابن حجر فقال: (وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار، لما وقع من الإسرار بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل)، وقال: ((عليكم بالدلجة، فإن الأرض تطوى بالليل))[3].

٥. ينبغي أن ننتبه إلى أن النبي ﷺ لم يذهب أبدًا إلى بيت المقدس إلا في تلك الليلة، ومن هناك تمَّ المعراج، وهناك أيضًا صلى النبي ﷺ إمامًا بإخوانه الأنبياء. ولذا يمكننا القول بإن الله ﷻ أراد أن يلفت انتباه المسلمين إلى هذه البقعة المباركة حتى لا يغفل عنها المسلمون، ولذا قال تعالى عنه: ﴿الذي باركنا حوله﴾.

٦. إن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء تعني تسليم قيادة هذا العالم التائه الذي يحتاج من يقوده إلى الله إلى نبينا ﷺ، ثم تتولى الأمة الإسلامية من بعده ﷺ هذه المهمة

---

(١) ينظر: فتح الباري: ٢٣٦/٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٠/٧؛ وشرح العقيدة الطحاوية: ص١٩٧.

(٣) حسن بشواهده، إذ رواه الحاكم في "المستدرك": ١١٤/٢؛ والبيهقي: ٢٥٦/٥؛ والبزار "كشف الأستار": ٢٧٥/٣؛ وأخرجه ابن خزيمة: برقم (٢٥٥٥)؛ والحاكم في "المستدرك": ٤٤٥/١؛ وأبو نعيم في "الحلية": ٢٥٠/٩؛ ورواه ابن عبد البر في "التمهيد": ١٥٩/٢٤، وغيرهم بشواهد ومتابعات كثيرة.

العظيمة، ولا شك أن بيت المقدس الذي صلى فيه النبي ﷺ إمامًا أصبح أيضًا من مسئوليته، ومسئولية أمته من بعده في صيانته والحفاظ عليه، وليس مسئولية اليهود أو النصارى كما يزعمون ودليل هذا: أن النبي ﷺ كثيرًا ما يقرن بينه وبين المسجد الحرام والمسجد النبوي حتى ينتبه المسلمون له، فمن ذلك قوله ﷺ: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))[1]. وسأله أبو ذر عن أي مسجد وضع في الأرض أول فقال: ((المسجد الحرام. قال أبو ذر: قلت: ثم أي؟! قال: المسجد الأقصى))[2]، وغير ذلك من الأحاديث التي تبين منزلة هذا المسجد أولى القبلتين، ثالث الحرمين، فلينتبه المسلمون إلى مسجدهم، فالحفاظ على المسجد الأقصى وصيانته هي مسؤولية المسلمين لا غير، نسأل الله أن يعيده إلى حظيرة المسلمين، وأن يحرره من دنس أحفاد القردة والخنازير.

٧. أن هناك حياة بعد الموت وقبل البعث، ترد فيها الروح إلى الجسد، حياة حقيقية برزخية، وهناك نعيم لأهل الإيمان، وعذاب لأهل الكفر والطغيان، دلت على ذلك أحاديث كثيرة صحيحة، ولكننا لا نعلم عن تلك الحياة إلا ما أخبرنا به ربنا، أو ما جاء صحيحًا عن نبينا ﷺ، فهذه الأشياء أكبر من عقول البشر، والإيمان بها واجب، كما قال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[البقرة:٣]. ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون لابد معها كما كانت في الحياة الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر[3].

٨. إذا كانت هنا حياة بعد الموت فلم الصلاة وقد انقطع عمل الإنسان بموته؟! أجاب القاضي عياض رحمه الله بقوله: والجواب عن هذا من عدة أوجه أذكر منها:

أ . أنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا.

ب. أن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس:١٠][4]. وجاء عن نبينا ﷺ أنه قال: ((يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جُشاءٌ كرشح

---

(١) رواه البخاري: برقم (١١٨٩)؛ ومسلم: برقم (٨٢٧) عن أبي سعيد الخدري.
(٢) رواه البخاري: برقم (٣٣٦٦)؛ ومسلم: برقم (٥٢٠) عن أبي ذر.
(٣) ينظر: حاشية السندي على سنن النسائي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ٢١٦/٣.
(٤) ينظر: شرح مسلم للنووي: ٤٦٤/١.

المسك يُلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس))[1].

المطلب الرابع: رؤيته ﷺ للأنبياء عليهم السلام وبكاء موسى عليه السلام بعد رؤيته الرسول ﷺ

قال ﷺ: "فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا ولنعم المجيء جاء". ثم رأى النبي ﷺ آدم عليه السلام، لكنه لم يذكر شيئًا في هذه الرحلة على صفته[2]، جاء في الحديث: "فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة[3]، وعلى شماله أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى،فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم[4] بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى"... كما ارتقى ﷺ في السماوات سماءً بعد سماءً التقى فيها بالأنبياء عليهم السلام: فالتقى في الثانية بعيسى ويحيى (ابنا الخالة)، وفي الثالثة بيوسف، وفي الرابعة بإدريس، وفي الخامسة بهارون، وفي السادسة التقى بموسى فرحب به وأثنى عليه فلما تجاوزه بكى موسى فقيل: ((ما يبكيك، قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممّا يدخلها من أمتي"، ثم التقى ﷺ في السابعة بإبراهيم...))[5].

يحسن بنا أن نشير إلى بعض الفوائد والأحكام والحِكَم المستفادة من هذه الأحداث، وهي كما يأتي:

١-قول جبريل عليه السلام: ((افتح)) حكمته التحقق من أن السماء لم تفتح إلا من أجله ﷺ، بخلاف ما لو وجد باب السماء مفتوحًا، وفيه أيضا أن للسماء أبوابًا حقيقية وحفظة

---

(١) رواه مسلم: برقم (٢٨٣٥).

(٢) جاء عند البخاري: برقم (٣٣٢٦)؛ ومسلم: برقم (٢٨٤١) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا في السماء...)) الحديث.

(٣) أسودة: أي جماعة من الأشخاص من كل لون وجنس، وَالأَسْوِدَةُ: جمع قلة لسواد، وهو الشخص؛ لأنه يُرى من بعيد أسود.

(٤) نسم: جمع نسمة، وهي الروح أو النَّفْس.

(٥) حديث أبي ذر ﷺ رواه البخاري: برقم (٣٤٩)؛ وحديث مالك بن صعصعة رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).

موكلين بها، وفي ذلك إثبات الاستئذان[١].

٢-قوله: "قيل: مَن؟ قال: جبريل"، فيه أنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: (أنا فلان) ولا يقتصر على قوله (أنا) لأنه ينافي مطلوب الاستفهام، وهذا من الآداب التي ينبغي على المسلمين أن يعملوا بها ويعلموها أولادهم كما علمها النبي ﷺ لصحابته[٢]، فقد جاء عن جابر ﷺ أنه ذهب يستأذن على النبي ﷺ ذات يوم، فقال له النبي ﷺ: ((من ذا؟. قال جابر: قلت أنا، فقال النبي ﷺ: أنا أنا. كأنه كرهها))[٣].

٣-((قال: هل معك من أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ))، فيه دليل على التعريف بالاسم أولى من الكنية[٤].

٤-قول خازن السماء: ((وقد بعث إليه))، ولفظ مسلم: ((أو قد أرسل إليه)) معناه للعروج إلى السماء، إذ كان إرساله وبعثته بالنبوة قبل ذلك مستفيضًا، فعلموا بنبوته ورسالته ولم يعلموا إسراءه[٥]. وفي هذا دليل على أن أهل السماء لا يعلمون بكل ما يحدث في الأرض إلا بما أعلمهم الله به، يؤيد هذا ما جاء في حديث أنس: ((لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم))[٦].

٥- قوله: ((مرحبًا [٧] به ولنعم المجيء جاء))، فيه إشارة إلى أن المزور يجوز له أن يبدأ زائره بالتحية والترحيب، ولاسيما إن كان ذا شأن من أهل الصلاح، وأيضًا: يستحب هذا إن كان يلقاه للمرة الأولى حتى يؤانسه ويزيل ما في قلبه ونفسه من الوحشة والرهبة.

٦-قول آدم عليه السلام: ((مرحبًا بالابن الصالح)) فيه إشارة إلى افتخار آدم عليه السلام بأبوة النبي ﷺ.

٧-قوله عن آدم عليه السلام: ((إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى)) فيه شفقة الوالد على ولده، وجواز سروره بحسن حاله، وحزنه وبكاؤه لسوء حاله[٨]، وهذا لا خلاف على جوازه، ولكن بشروط:

---

(١) ينظر: شرح مسلم للقاضي عياض: ٤٥٥/١؛ وفتح الباري: ٥٤٩/١.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٥٨/٧.

(٣) رواه البخاري: برقم (٦٢٥٠)؛ ومسلم: برقم (٢١٥٥).

(٤) ينظر: فتح الباري: ٢٤٩/٧.

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم للقاضي عياض: ٥٠٢/١؛ وشرح صحيح مسلم للنووي: ٣٨٩/١؛ والروض الأنف: ١٥١/٢.

(٦) رواه البخاري: برقم (٧٥١٧)، وهو جزء من رواية شريك عن أنس، ولكنها ليست مما انتقد على شريك. وينظر: فتح الباري: ٤٩٠/١٣.

(٧) مرحبًا: أي أصاب رحبًا وسعة.

(٨) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ٤٥٩/١.

أ – أن يصاحب هذا الحزن أو البكاء الرضا بقضاء الله والتسليم له، والبعد عن قبيح القول والفعل، إلى آخر ما يظهر السخط وعدم الرضا.

ب– أن الأمر الذي يستحق الفرح الحقيقي أو الحزن الحقيقي هو ما يتعلق بدين الرجل وخاتمته وآخرته، فلا يحزن الإنسان أو يفرح كثيرًا بأمر من أمر الدنيا الزائلة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾[الحديد: ٢٢–٢٣].

٨–جاء في الحديث أن النبي ﷺ وجد آدم ونسم بنيه من أهل الجنة والنار، وقد جاء أيضا في نصوص أخرى: (أن أرواح الكفار في سجين) فقيل: في الأرض السابعة، وقيل: تحتها، و(أن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة)، فكيف الجمع بين هذه الأقوال؟!

أجاب عن ذلك القاضي عياض بأنه يحتمل أن الأرواح تعرض على آدم أوقاتًا فوافق وقت عرضها مرور النبي ﷺ، ويحتمل أن كونهم في النار والجنة –في تلك الحياة البرزخية– إنما هو في أوقات دون أوقات، بدليل قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ وبقوله ﷺ: في المؤمن: ((وعرض منزله من الجنة عليه وقيل له: هذا منزلك حتى يبعثك الله إليه))[(١)]، كما يحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم عليه السلام، والنار في جهة شماله، وكلاهما حيث شاء الله تعالى، والله اعلم[(٢)].

٩–وهاهنا فائدة لطيفة استنبطها القاضي عياض من قول إدريس عليه السلام لنبينا ﷺ: ((مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح))، فقال رحمه الله: (هذا مخالف لما يقوله أهل النسب والتاريخ من أن إدريس عليه السلام أب من آباء النبي ﷺ وأنه جد أعلى لنوح عليه السلام، فقد جاء جواب الأنبياء الآباء هنا (يعني آدم وإبراهيم عليهما السلام) بقولهم: ((مرحبًا بالابن الصالح))، بينما قال إدريس: ((مرحبًا بالأخ الصالح)) كقول موسى وعيسى ويوسف ويحيى وهارون، وهم ليسوا بآباء للنبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)[(٣)].

١٠–تكرر قول الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لنبينا ﷺ: ((مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح))، والنبي ﷺ لم يعلق بشيء، فكيف نجمع بين هذا وبين قول النبي ﷺ:

---

(١) هو جزء من حديث البراء الطويل، وقد رواه أبو داود: ٢/٢٨١، وغيره.

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ١/٥٠٢.

(٣) نقل ذلك عنه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: ١/٤٥٩، وذكر ردًا عليه لكنه ضعيف لا ينهض للرد عنه.

((إذا رأيتم المداحين فأحثوا في وجوههم التراب))[1]. فنقول: إن هذا الحديث الأخير وغيره جاء صريحًا في النهي عن المدح في الوجوه وكراهة هذا الفعل، ولكن: جاءت أحاديث أخرى بالإباحة، يقول النووي رحمه الله: (قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه فليس بحرام ولا مكروه.. وإن خيف عليه أي الممدوح شيء من هذه الأمور، كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تتنزل الأحاديث المختلفة في ذلك)[2]، قلت: وليس هناك أكمل من نبينا ﷺ فهو أفضل الخلق وهو أحق من تكون فيه هذه الصفات، ولذلك مدحه إخوانه الأنبياء في وجهه.

١١-لقد بكى موسى عليه السلام بعد رؤيته النبي ﷺ ، فما تفسير ذلك؟.

لقد قال العُلماء: لم يكن بكاء موسى حسدًا -معاذ الله- فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى؟!، بل كان بكاؤه أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل اجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة. وقال ابن ابي جمرة: (إن الله جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم، ولذلك بكى موسى عليه السلام رحمة لأمته)[3]، ومما يؤيد هذا القول أنه ثبت أن نبينا ﷺ بكى في حياته رحمة بأمته، وقال: ((يا رب أمتي أمتي))[4]. والمعنى -والله أعلم- أن موسى عليه السلام حزن على قومه لقلة المؤمنين منهم مع كثرة عددهم، فكان بكاؤه حزنًا عليهم، وغبطة لنبينا ﷺ على كثرة أتباعه، والغبطة في الخير محبوبة، ومعنى الغبطة: أنه ود أن يكون من أمته المؤمنين مثل هذه الأمة، لا أنه ودَّ أن يكونوا أتباعًا له وليس لنبينا ﷺ مثلهم، والمقصود: أنه بكى أيضًا على فوات الفضل العظيم بتخلفهم عن الطاعة، ومثل هذا يُبكَى عليه ويُحزَن على فواته[5]. فالفائدة من هذا الموقف جواز بكاء الإنسان أسفًا على ما فاته من الخير.

١٢-لقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الأمة من أمر الصلاة ما لم يقع لغيره،

---

(١) رواه مسلم: برقم (٣٠٠٢)، عن المقداد بن الأسود.
(٢) رياض الصالحين: ص٥٠٧.
(٣) فتح الباري: ٢٥٢/٧.
(٤) رواه مسلم: برقم (٢٠٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ٤٦١/١.

ولعل الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي ﷺ في أمر الصلاة؛ لكون أمة موسى كُلِّفَتْ من الصلواتِ بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك.

١٣-ضرورة الاستفادة من تجارب الأمم السابقة، فإنَّ نبينا ﷺ لم يترك رأي موسى عليه السلام، وإنما رجع لقوله مستشيرًا جبريل عليه السلام، إذ يستفاد من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ: ((أنه عالج الناس قبله وجربهم)) أنَّ التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة.

١٤-بذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك، وقبول النبي ﷺ استشارة موسى عليه السلام دليل على فضل محمد ﷺ؛ إذ رجع ﷺ لقوله وهو دونه في الفضل[١].

١٥- أما وصف موسى عليه السلام نبينا بأنه: "غلام" فأنه ليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن الكبيرة ما لم يعطه أحدًا قبله ممن هو أسن منه.

قلت: وقد وقع من موسى عليه السلام ما يدل على علو أدبه مع رسولنا ﷺ، وحبه له ولأمته، ظهر هذا واضحًا في أمرين، وهما: أولاً: أنه أمسك عن جميع ما وقع له حتى فارقه النبي ﷺ أدبًا معه وحسن عشرة ومراعاةً لجانبه فلما فارقه بكى، وقال ما قال، ثانيًا: نصيحته لنبينا ﷺ أن يراجع ربه للتخفيف عن أمته في شأن الصلوات، ولو كان حاسدًا معاذ الله لترك النبي ﷺ يعود بخمسين صلاة، وهو يعلم من خلال تجربته أن الأمة لن تستطيع القيام بهن.

وقال ابن أبي جمرة: (قوله: "هذا الغلام" إشارة إلى صغر سن النبي ﷺ بالنسبة إلى موسى عليه السلام)، وقال الخطابي: (والعرب تسمي الرجل المستجمع السن غلامًا ما دامت فيه بقية من القوة)، وفي هذا إشارة إلى ما أنعم الله به على نبينا ﷺ من استمرار القوة في الكهولية إلى أن بلغ سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص[٢].

١٦-كيف يرى النبي ﷺ الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض؟!

أجيب عن ذلك: بأن أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم باستثناء عيسى عليه السلام فهو موجود في السماء، أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفًا

---

(١) ينظر: أحاديث الإسراء والمعراج: ص٢٨.
(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٥٢/٧.

لـه وتكريمًا[1]. قلت: وقدرة الله ﷻ ليس لها حدود ولا تقف عند أمر ما، فينبغي الإيمان بما ذكره رسولنا ﷺ، إذ العقل لا يستبعد شيئًا على قدرة الله ﷻ.

المطلب الخامس: عرض الأواني[2] على النبي ﷺ واختياره لقدح اللبن (الفطرة)

جاء عن انس عن النبي ﷺ أنه قال: ((ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة))[3]. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال بعد ذكره رؤية الأنبياء في إسرائه: ((فأتيتُ بإنَاءين، في أحدهما لبنٌ، وفي الآخر خمرٌ، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذتُ اللبن فشربتهُ، فقال: هديتَ الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك...))[4]. وفي هاتين الروايتين: أنه عرض على النبي ﷺ إناءين فقط، لكن جاء في روايات أخرى أنها كانت ثلاثة أواني، مثل: ما جاء عن أنس أن النبي ﷺ قال: ((فأتيتُ بثلاثة أقداحٍ: قدح فيه لبنٌ، وقدحٌ فيه عسلٌ، وقدحٌ فيه خمرٌ...))[5]، وعن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ قال: ((ثُم أُتيتُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ وإناءٍ منْ عسل))[6]. بل جاء في بعض الروايات ذكر العسل واللبن فقط، أو الماء مكان العسل.

وأما وقت عرض الأواني فقد اختلفت الروايات فيه أيضا، فظاهر ما ذكرناه آنفًا عن انس وأبي هريرة أن عرض الآنية كان قبل المعراج، ولكن جاء في حديث مالك

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) وقد حدث خلاف بين الرواة في ترتيب رؤية تلك الأشياء: (البيت المعمور، والأواني، والسدرة، والأنهار) يقول الشيخ الالباني رحمه الله في [الإسراء والمعراج: ص٢٠] بما ملخصه: أن الرواة قد اختلفوا على قتادة (وهو الراوي عن انس) في ترتيب ما بعد السماء السابعة، ففي رواية هشام الدستوائي منهم (وهو أوثقهم) جعلها على الترتيب الآتي: (البيت المعمور ثم الأواني ثم السدرة ثم الأنهار)، وأما رواية همام (وهو ثقة ربما وهم عند ابن حجر) فقد رتبها هكذا: (السدرة ثم الأنهار ثم البيت المعمور ثم الأواني)، وهي رواية البخاري وفي أخرى عنده عنه (أي عن همام) خلافها، ولكن البخاري قرن معه سعيدًا وهشامًا (هو الدستوائي) فذكر: (البيت المعمور ثم السدرة ثم الأنهار) ولم يذكر الأواني.
قلت: وهذا الترتيب الأخير يتفق مع رواية هشام الدستوائي الأولى التي ذكرها الألباني إذا تم استبعاد الأواني منها، لذا سأعتمدها في ترتيب المطالب: (البيت المعمور ثم السدرة ثم الأنهار) إلاَّ أني قدمت مطلب (عرض الأواني) عليها لأن (عرض الأواني) حصل مرتين: (إحداها: بعد صلاة النبي ﷺ بالأنبياء في إسرائه، والثانية: في معراجه بعد رؤيته البيت المعمور) لذا قدمت (عرض الأواني) باعتبار الحالة الأولى. لكن ينبغي أن يُعلَم أنَّ هذا الأمر (أعني الترتيب) لا يهمنا كثيرًا، فالمهم أنه قد ثبت لنبينا ﷺ رؤية هذه الأشياء. ينظر في تفصيل ذلك: إضاءة السراج: ص٧٣-٧٤.

(٣) رواه مسلم: برقم (١٦٢)، عن أنس بن مالك.

(٤) رواه البخاري: برقم (٣٣٩٤)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه البخاري تعليقًا: برقم (٥٦١٠) عن أنس. قال الحافظ: ووصله أبو عوانة والإسماعيلي، والطبراني في الصغير.

(٦) رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).

بن صعصعة مرفوعًا: "ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل"، فهذا ظاهر في أن عرض الأواني كان في المعراج، فكيف نجمع بين هذه الروايات؟! والجواب أنَّ يقال: إنَّ الأحاديث التي جاء فها ذكر (الماء مكان العسل)، أو (العسل واللبن) فقط فهذه الروايات لا تصح[1]. وبذلك يصفو لنا في هذه المسألة أمران:

الأول: عرض الخمر واللبن. الثاني: عرض الخمر واللبن والعسل.

ثم يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: أما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيُحمَل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر. وأما في توجيه الاختلاف في وقت عرضها فيقول الحافظ ابن حجر: ويجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل (ثم) على غير بابها من الترتيب وإنما هي بمعنى الواو هنا، وإما بوقوع عرض الآنية مرتين: مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى[2].

وزيادةً في دقة توجيه الاختلاف أقول: إنَّ الذي يبدو –من سياق الروايات الصحيحة وما يقتضيه واجب الأخذ بها جميعها وعدم إهمال بعضها من غير مُوجِب– أنَّ عرض آنيتي الخمر واللبن على النبي ﷺ كان بعد صلاته بالأنبياء في الإسراء، بينما كان عرض أواني الخمر واللبن والعسل في معراجه عقب رؤيته للبيت المعمور، والله أعلى وأعلم. وبهذا يتم الجمع بين اختلاف الروايات في عدد الأواني وكذا اختلافها في وقت عرضها على النبي ﷺ.

الفوائد والحِكَم والأحكام المستفادة من هذه الحادثة :

١–يؤخذ من عرض الآنية عليه ﷺ إرادة إظهار التيسير عليه، وإشارة إلى تفويض

---

(١) ما جاء في عرض اللبن والعسل أخرجه البزار في "مسنده": برقم (٥٣)؛ والبيهقي في "الدلائل": ١٠٧/٢، عن شداد بن أوس، وقد رواه بطوله ابن أبي حاتم في تفسيره، وأيضًا أخرجه الطبراني في "معجمه الكبير"، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م: برقم (٧١٤٢)، من طريق إسحاق بن إبراهيم، وهذا الحديث إنما يعرف من رواية إسحاق عن عمرو بن الحارث، ولا متابع لأحدهما ولذا ذكر ابن كثير بعد ذكره لهذا الحديث: أن فيه أشياء منكرة. وجاء عن الإمام أحمد في "مسنده": ٢٥٧/١، وفي هذا الإسناد قابوس أبي ظبيان، قال عنه الحافظ كما في "التقريب": فيه لين، وجاء في حديث ابن مسعود ولكنه حديث منكر. وأما ما جاء في عرض اللبن والخمر والماء (مكان العسل) فقد أخرجه الطبري في التفسير، طبعة دار الكتب العلمية: ٥/١٥؛ والبيهقي في "الدلائل": ١١٣/٢، عن أنس بن مالك، والعلة هنا في عبد الرحمن بن هاشم حيث انه مجهول، وجاء في البداية والنهاية: ١١٤/٣: وهو ضعيف لانقطاع السند بين ابن إسحاق وابن مسعود، ورواه الطبراني في "المعجم الكبير": برقم (٧٣١٣)، وفيه ابن لهيعة، ورواية أبي الأسود عنه لا يُعرَف متى كانت فهي مما يتوقف فيه، وجاء في حديث أبي هريرة أيضًا ولكنه حديث منكر.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٥٦/٧؛ وإضاءة السراج: ص٧٥.

الأمور إليه.

٢-فيه إشارة لاستحباب تخيير الضيف إن كانت متاحًا بين أكثر من شيء وترك مجال الاختيار له لا إرغامه على شيء.

٣-الإسلام هو دين الفطرة، لقوله جبريل عليه السلام: ((هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك)).

٤-في قول جبريل عليه السلام: ((أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك)) إشارة إلى أن الخمر ينشأ عنها الغي، بناءًا على أنه ﷺ لو شربها لأحلّ للأمة شربها؛ فوقعوا في ضررها وشرها، ولا يختص ذلك الغي بقدر معين قليلا كان أو كثيرا. وفيه أيضًا إيماء إلى أن استقامة المقتدى بهم -من النبي والعالم والسلطان ونحوهم- سبب لاستقامة أتباعهم، لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء.

٥-قوله: ((فيستبشر به أهل السَّماء)) فكأنهم كانوا أُعلِموا أنه ﷺ سيعرج به فكانوا مترقبين لذلك، وفيه استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء.

٦-في قول جبريل عليه السلام: ((الحمد لله الذي هداك للفطرة)) في هذا مشروعية الحمد عند حصول ما يحمد ودفع ما يحذر[١].

المطلب السادس: رؤيته ﷺ للبيت المعمور في السماء السابعة

قال رسول الله ﷺ: ((فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه))[٢]، وفي رواية أخرى: ((فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم))[٣].

الفوائد والحِكَم والأحكام المستفادة من هذه الحادثة :

١. إنَّ ممّا يدل على عظمة البيت المعمور وعلو مكانته عند الله تعالى أنه ذكره في كتابه الكريم مقسمًا به فقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور: ١-٤].

٢. وأما وصفه فقد جاء عن علي رضي الله عنه أنه سئل عنه فقال: ((هو بيت في السماء، يقال له: الضراح والضريح وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يرجعون فيه أبدًا))[٤]، وقول علي هذا يأخذ حكم المرفوع إلى النبي ﷺ حيث أنه لا يقال من

---

(١) ينظر: فتح الباري: ٣٦/١٠، ٧٦؛ وأحاديث الإسراء والمعراج: ص٣٠.

(٢) حديث أنس بن مالك، رواه مسلم: برقم (١٦٢).

(٣) حديث مالك بن صعصعة، رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).

(٤) رواه البيهقي في "شعب الإيمان"، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية،

قبل الرأي والله أعلم.

٣. قوله: ((يدخله كل يوم سبعون ألف ملك))، يستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات، لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفًا غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر، وهناك أدلة أخرى كثيرة في السنة الصحيحة تدل على كثرتهم[١].

المطلب السابع: رؤيته ﷺ سدرة المنتهى

وأيضًا مما رآه النبي ﷺ من المشاهد "سدرة المنتهى"، وقد وقع بيان سبب تسميتها "سدرة المنتهى" في حديث ابن مسعود ﷺ حين قال: ((لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط فيقبض منها))[٢].

وقال النووي رحمه الله: قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وعلق الحافظ على هذا القول قائلاً: وهذا لا يعارض حديث ابن مسعود المتقدم، لكن حديث ابن مسعود ثابت كما في الصحيح "يعني صحيح مسلم"، فهو أولى بالاعتماد.

وأما عن مكان سدرة المنتهى فقد جاء في حديث ابن مسعود أنها في "السماء السادسة" لكن جاء في حديث أنس ما ظاهره أنها في السماء السابعة، لقوله بعد ذكر السماء السابعة: ((ثم ذهب بي إلى السدرة))[٣]، وكذلك في حديث مالك بن صعصعة: بعد أن ذكر السماء السادسة، قال: ((ثم رفعت إلى سدرة المنتهى))[٤].

وهذا تعارض لا شك فيه، وحديث أنس هو قول الأكثر، وهو الذي يقتضيه وصفها بأنها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب، وما خالفها غيب لا يعلمه إلا الله أو من أعلمه، وقد يترجح حديث أنس بأنه مرفوع، وحديث ابن مسعود موقوف. هكذا قال القرطبي رحمه الله، ولكن خالفه الحافظُ ابن حجر والإمامُ النووي رحمهما الله، فقال الحافظ: جزم القرطبي بالتعارض ولم يعرج على الجمع[٥]، ثم قال: ولا يعارض قول ابن

بيروت، ط١، ١٤١٠هـ: ص٣٩٩١؛ والطبري في تفسيره: ١١/٤٨٠، وله شواهد قد ترتقي به إلى درجة الحسن.

(١) ينظر: فتح الباري: ٧/٢٥٥ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم: برقم (١٧٣).

(٣) صحيح، وقد سبق تخريجه.

(٤) صحيح، وقد سبق تخريجه.

(٥) قلتُ: القول المعتمد بين أهل العلم أنه إذا تعارض خبران صحيحان، وأمكن الجمع بينهما،

مسعود أنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يُحمَل على أن أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها في السماء السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصلُ ساقِها[١].

وأما عن شكل السدرة ووصفها فقال رسول الله ﷺ: ((ثم رُفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلالُ هجر[٢] وورقها مثل آذان الفيلة))[٣]، قال الخطابي: يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين، ولذلك وقع التمثيل بها[٤]. ومما جاء أيضًا عن وصف السدرة، قوله ﷺ عنها: ((فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسنها))[٥]، وقد جاء تفسير المبهم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[النجم:١٦] عن ابن مسعود ﷺ فقال: ((فراش من ذهب))[٦].

وعند سدر المنتهى رأى النبي ﷺ جبريل (الروح الأمين) عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يرَ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين فقط، وممّا جاء في وصف جبريل عليه السلام ما قاله عنه ﷺ: ((رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، عليه ست مائة جناح، يُنثر من ريشه التهاويل[٧]والدر والياقوت))[٨]، وقال أيضًا ﷺ عنه: ((أقرب من أريت به شبهًا دحية بن خليفة[٩]))[١].

فالجمع أولى من ترجيح العمل بأحدهما وإبطال الآخر، لأن الأصل والأولى في الأدلة الصحيحة الإعمال لا الإهمال.

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للشيخ الحافظ أبو العبَّاس أحمد بن الشيخِ المرحومِ الأنصاريُّ القرطبيُّ، طبعة بيروت، د.ت: ١٠/٣؛ وفتح الباري: ٥٣/٧.

(٢) النبق: ثمر السدرة، وهو أشبه بالعنب قبل أن تشتد حمرته. وقلال: جمع قلة وهي: الجرة الكبيرة. وهجر: بلدة معروفة.

(٣) جزء من حديث مالك بن صعصعة، رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧)..

(٤) ينظر: فتح الباري: ٢٥٤/٧.

(٥) غشيها: علاها. رواه مسلم: برقم (١٧٣).

(٦) ومما وقفت عليه أيضًا في وصف السدرة: ما أخرجه الترمذي: برقم (٢٥٤١)؛ وأبو نعيم في "وصف الجنة": برقم (٤٣٥)؛ والحاكم في "المستدرك": ٤٦٩/٢، عن أسماء بنت أبي بكر.

(٧) التهاويل: هي الأشياء المختلفة الألوان، قال في [لسان العرب] أراد بالتهاويل: تزايين ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة، مثل تهاويل الرياض.

(٨) حديث حسن، رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤١٢/١.

(٩) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي: كان من كبار الصحابة لم يشهد بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها

من الفوائد المستفادة من هذه الحادثة :

- وهي فائدة هامة للأئمة والدعاة والمدرسين، وهو أنه يستحب لهم أن يُقرِّبوا كلامَهم للمخاطبين بضرب أمثلة توضيحية، بشرط أن تكون تلك الأمثلة واقعية قريبة منهم يعرفونها جيدًا، فإن لذلك أبلغ الأثر في توصيل المعومات. وكما قيل: بالمثال يتضح المقال.

المطلب الثامن: رؤيته ﷺ أنهار الجنة

ومما رآه النبي ﷺ أيضًا من المشاهد الأنهار الأربعة، قال رسول الله ﷺ: ((في أصلها -أي السدرة- أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات))[٢].

ثم انطلق النبي ﷺ بعد ذلك في معراجه إلى مكان وإلى منزلة أعلى من منازل سائر الأنبياء، وفي هذا المكان سمع النبي ﷺ صوتًا عجيبًا، قال ﷺ: ((ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام))[٣].

من الفوائد المستفادة من هذه الحادثة:

١. إنَّ المقصود أن أصل هذه الأنهار من الجنة، وليس المقصود أنها تنبع منها الآن[٤]. وقد استدل بذلك على فضيلة ماء النيل والفرات، ويرى بعض أهل العلم أن رؤية النبي ﷺ للنيل والفرات في رحلته هذه كان بمثابة تبشير من ربه ﷻ له بأن دعوته سوف تنتشر حتى تصل تلك الأودية.

٢. معنى صريف الأقلام: أي أصواتها حال الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتاب الله من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها، على ما جاءت به الآيات من كتاب الله والأحاديث الصحيحة، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره، لكن كيفية ذلك وجنسه وصورته مما لا يعلمه إلا الله، أو من أطلعه على غيبه من ذلك من ملائكته ورسله، ومما لا يتأوله ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان، إذ جاءت به الشريعة، ودلائل العقول لا

من المشاهد، وبقي إلى خلافه معاوية، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولاً في الهدنة سنة ٦هـ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة.

(١) رواه مسلم: برقم (١٦٧).

(٢) حديث مالك بن صعصعة ﷺ، رواه البخاري: برقم (٣٢٠٧).

(٣) حديث أبي ذر ﷺ، رواه البخاري: برقم (٣٤٩).

(٤) ينظر: فتح الباري: ٢٥٥/٧.

تحيله، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقد جعل ذلك سبحانه حِكْمَةً منه تعالى وإظهارًا لما يشاء من غيبه لمن يشاء مِن ملائكته وسائر خلقه، وإلاَّ فهو غني عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى[1].

المطلب التاسع: رؤية النبي ﷺ لربه أو لنوره ﷻ وفرض الصلاة

لقد ثبت بالأدلة الصحيحة المتوافرة -ثبوتًا جازمًا- مخاطبة الرسول ﷺ لربه خطابا مباشرة، حين كان ﷺ في أشرف مكان وأعلى مقام حيث لا يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

وقد أنعم الله عليه بالنعم الكثيرة -ما علمنا به وما لم نعلَم-، وكان من نِعَمَه ﷻ أن فرض الصلاة على أمة الإسلام، وكانت في البدء خمسين صلاة، ثم نصحه موسى بمراجعة ربه ﷻ لتخفيفها عن أمته فإنهم لا يطيقون، فرجع إلى ربه -مررا- إلى أن جعلها خمسا في العمل وإن كانت خمسين في الميزان تفضلاً منهم وإكرامًا.

ولكن قد اختلفت آراء بعض الصحابة ومن بعدهم في رؤية النبي ﷺ لربه بعيني رأسه، وفيما يأتي أبرز ما صحَّ من أقوالهم[2]:

١- صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رأى ربه، وصحَّ عنه أنه قال: رآه بفؤاده. فقد اضطرب الرواة عنه في الرؤية، فمنهم من أطلقها[3]، ومنهم من قيدها بالفؤاد[4]، وهي أصح الروايات عنه، والله اعلم.

٢- وصحَّ عن أم المؤمنين السيدة عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما إنكار ذلك، وقالا: إن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم:١٣] إنما هو جبريل عليه السلام.

٣- وصحَّ عن أبي ذر ﷺ أنه سأل النبي: هل رأيت ربك فقال: ((نور أنى أراه)) أي حال بيني وبين رؤيته النور، كما قال في لفظ آخر: ((رأيت نورا)).

٤- وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره.

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم للقاضي عياض: ١/٥١٠.

(٢) ينظر: زاد المعاد: ٣/٣٤-٣٦، ٣٨؛ وإضاءة السراج: ص١١٠، ١١٦.

(٣) جاءت بعض الأخبار عن ابن عباس في تفسيره الآية بإطلاق الرؤية، ومنها: ما جاء من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلةً أخرى**﴾ قال: رأى ربه تبارك وتعالى، وأخرجه الآجري في الشريعة: ص٤٩١؛ وابن خزيمة في التوحيد: ص١٣١، من طريقين هذا أحدهما، وابن أبي عاصم في "السنة": برقم (٤٣٩)؛ وابن حبان: برقم (٣٨)، ولكن بدون ذكر الآية، وهذا إسناد حسن موقوف، لأن (محمد بن عمرو) صدوق له أوهام.

(٤) جاء ذلك عند مسلم في صحيحه: برقم (١٧٦) من طريق أبي العالية عن ابن عباس قال: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد راءه نزلة أخرى**﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: (وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ولا قوله: "رآه بفؤاده"، وقد صحَّ عنه أنه قال: "رأيت ربي تبارك وتعالى" ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه. وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله وقال: "نعم رآه حقا" فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد ولكن لم يقل أحمد رحمه الله إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وَهِمَ عليه، ولكن قال مرة: "رآه" ومرة قال: "رآه بفؤاده"، فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه: "رآه بعيني رأسه"، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك). ثم يعقب ابن القيم على ذلك بقوله: (وأما قول ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم:١١] ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣]، والظاهر أنه مستنده فقد صح عنه أن هذا المرئي جبريل رآه مرتين في صورته التي خلق عليها، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله رآه بفؤاده والله أعلم. وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[النجم:٨] فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وابن مسعود، والسياق يدل عليه فإنه قال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٥] وهو جبريل ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم:٨٦]، فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى وهو ذو المرة (أي القوة) وهو الذي استوى بالأفق الأعلى وهو الذي دنى فتدلى فكان من محمد قدر قوسين أو أدنى. فأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتدليه ولا تعرض في سورة النجم لذلك، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، وهذا هو جبريل رآه محمد على صورته مرتين: (مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى) والله أعلم)[1].

وعمومًا، فتفسير الآية عن ابن عباس برؤية الله تبارك وتعالى ثابت عنه، لكن الأخذ بالتفسير الذي ذكرته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعًا إلى النبي ﷺ أولى منه، والأخذ بالمرفوع واجب دون الموقوف. ومن أقوى ما استدل به على أن الرؤية البصرية لم تقع ليلة المعراج هو ذلك السؤال الصريح الذي سأله أبو ذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين قال له: ((هل رأيت ربك؟، فقال: نور أنى أراه))[2]، وفي

---

(١) زاد المعاد: (٣/٣٥).

(٢) رواه مسلم: برقم (١٧٨) عن أبي ذر.

رواية: ((رأيت نورًا))[1]. ويقول شارح الطحاوية: (لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو: ((نور أنى أراه))، وفي رواية: ((رأيت نورًا))، وجاء في النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور))[2]، فيكون والله أعلم معنى قوله: "رأيت نورًا" أنه رأى الحجاب، ومعنى: "نور أنى أراه" النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي كيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية البصرية. والله أعلم)[3].

وقال القاضي عياض: (رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً، وثبتت الأخبار المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة، وأما في الدنيا فقال مالك -يعني ابن أنس-: إنما لم يُرَ سبحانه في الدنيا لأنه باقٍ، والباقي لا يُرى بالفاني، فإذا كانوا في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقية رأوا الباقي بالباقي)، ثم قال: (وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع)[4].

وقال ابن كثير رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ استدل بها من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك[5]، ولقال ذلك للناس)[6]. ونختم تلك الأدلة على الرأي الثاني بقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله حين قال: (وقد حكى عثمان بن سعيد الدرامي اتفاق الصحابة على أنه لم يره، ونحن إلى تقرير رؤيته جبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة)[7].

وهناك قول أخير في هذه المسألة وهو: التوقف فيها، إذ قال الحافظ: (وقد رجح القرطبي في "المفهم" قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه

---

(١) رواه مسلم: برقم (١٦٢).
(٢) رواه مسلم: برقم (١٧٩) عن أبي موسى الأشعري.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ص١٦٣.
(٤) نقل ذلك عنه الحافظ في فتح الباري: ٤٧٢/٨.
(٥) روى البخاري في صحيحه: برقم (٣٢٣٣)، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قال: رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٤.
(٧) شرح العقيدة الطحاوية: ص١٦٣.

بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة، قابلة للتأويل، وليست المسألة من العمليات، فيكتفي فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي)[1].

وأما الدروس المستفادة من حادثة فرض الصلوات:

١-في هذه الحادثة ما يدل على عظم قدر الصلاة عند الله ﷻ، إذ تولى إيجابها بنفسه، ولذا يقول ابن أبي جمرة: (في اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إشارة إلى عظيم بيانها، ولذلك اختص فرضها بغير واسطة، بل بمراجعات تعددت)[2].

٢-قول موسى عليه السلام: ((فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم))، فيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، ولذا قال موسى عليه السلام: ((أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة))[3].

٣-قول موسى عليه السلام: ((إن أمتك لا يطيقون ذلك))، فيه أن تحكيم العادة والتنبيه بالأعلى على الأدنى، لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبدانًا من هذه الأمة وبالرغم من ذلك فلم يوافقوا أنبيائهم.

٤-ومن الفوائد المهمة بذل النصيحة لمن يحتاج إليها حتى وإن لم يطلبها، دليل ذلك أن نبينا ﷺ لم يسأل موسى عليه السلام النصيحة وإنما قام موسى عليه السلام بتوجيهها لعلمه بحاجة النبي ﷺ وأمته لها.

٥-ومن الفوائد: استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده، فإن النبي ﷺ سأل ربه مرات عديدة لتخفيف الصلاة عن أمته، وفي كل مرة يجيبه ربه، ولهذا ينبغي على المسلم أن لا يمل سؤال ربه ودعاءه، ولا يتركه مهما كثرت حاجاته ومطالبه من ربه، فإن الله ﷻ هو الكريم، وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص من ذلك مما عندي إلاَّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر))[4].

٦-قول النبي ﷺ: ((راجعت ربي حتى استحييت))، في ذلك ما يشير إلى فضيلة الحياء.

٧-قد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الأمة من أمر الصلاة ما لم يقع لغيره، وهذا دليل على حبه لنبينا ﷺ وأمته، وإلا فلو كان حاسدًا معاذ الله لما قدم

---

(١) فتح الباري: (٨/٤٧٤).
(٢) نقله عنه الحافظ في فتح الباري: (٧/٢٥٦).
(٣) حديث مالك بن صعصعة، رواه البخاري (٣٢٠٧).
(٤) رواه مسلم (٢٥٧٧)، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ.

النصيحة، فجزا الله موسى عليه السلام خيرًا على نصيحته.

٨-ينبغي أن لا يشك مسلم أن نبينا ﷺ أرحم بأمته من موسى عليه السلام، ولكن قد يسأل سائل: لماذا لم يراجع النبي ﷺ ربه في أمر الصلوات إلا بعد أن نصحه موسى عليه السلام؟!

فنقول: إن نبينا ﷺ استحيى أن يراجع ربه فيما أهداه له ولأمته، ومما يدل على أن عدم مراجعة النبي ﷺ لربه في البداية كان استحياءً: تردده في تنفيذ نصيحة موسى عليه السلام، فقد جاء في الحديث عن أنس[١] أنه لما قال موسى: ((إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم. فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت))، وفي نفس الحديث أيضًا: ((كل ذلك (يعني من المراجعات) يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل))، فلينتبه المسلم لهذا الأمر، فإن نبينا ﷺ ما كان ليترك أمرًا فيه صلاح لأمته إلا وفعله ودلهم عليه، وصدق ﷻ حين قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

المطلب العاشر: رؤيته ﷺ للجنة والنار وبعض مشاهدهما

لقد كان من إكرام الله ﷻ لنبيه ﷺ في تلك الرحلة أن أدخله مكانًا لا يدخله أحد من البشر في حياته أبدًا، وإنما يدخله المؤمنون بعد موتهم برحمة الله، وهذا المكان هو الجنة، قال ﷺ: ((ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل[٢] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك))[٣].

ورأى النبي ﷺ في الجنة نهرًا عظيمًا، ووصفه لنا، وهذا النهر هو: "الكوثر"، وجاء ذكره في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١]، وهذا يوضح أنه خاص بالنبي ﷺ وهذا من تكريم الله ﷻ لنبيه.

وجاء في وصف الكوثر عدة أحاديث صحيحة، أذكر منها هنا ما يتعلق بالمعراج فقط خشية الإطالة، فمن تلك الأحاديث: قول النبي ﷺ: ((بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه[٤] قبابُ[٥] الدُّرِّ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟! قال: هذا الكوثر

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٧)، وهذا من رواية شريك عن أنس، ولكن ليس مما عُدَّ في أخطاء شريك.

(٢) يقول الحافظ كما في فتح الباري [٥٥٢/١]: (ذكر كثير من الأئمة أن كلمة حبايل تصحيف، وإنما هو جنابذ كما وقع عند البخاري في أحاديث الأنبياء والجنابذ: شبه القباب مفردها: جُنبذة، وهو ما ارتفع من البناء).

(٣) حديث أبي ذر ﷺ رواه البخاري: برقم (٣٤٩).

(٤) حافتاه: أي جانباه.

(٥) قباب: جمع قبة: وهو بناء سقفه مستدير مقمر.

الذي أعطاك ربك، فإذا طينة أو طيبةُ[1] مسك أذفرُ[2]))[3]، فهذا الحديث صريح في أن النبي ﷺ رأى الكوثر في الجنة، وقد كانت هذه الرؤية في المعراج، قال أنس ﷺ: ((لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال ﷺ: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟! فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك))[4].

وكما رأى النبي ﷺ في معراجه الجنة فقد رأى أيضًا ما يضاد هذا النعيم، وكما قيل: (وبضدها تتميز الأشياء)، فقد رأى النبيﷺ النار ومالك خازن النار، وقد ثبت اسمه هذا بنص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وفي حديث الإسراء[5] قال ﷺ: ((فلما فرغت من الصلاة، قال: يامحمد، هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام))، وقال ابن عباس رضي الله عنهما[6]: ((ورأى مالكًا خازن النار...)).

وثبت أنه ﷺ رأى –في تلك الرحلة– الدجال، ودليل هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو يتحدث عن الإسراء فقال: ((ورأى مالكًا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه))[7]، ولكن لا يعلم تحديدًا هل رآه في إسرائه أم معراجه، وهذا ليس من ورائه طائل كبير. وأما صفة الدجال فقد كان: فيلمانيًّا (أي ضخمًا عظيمًا)، وأقمر هجانًا (أي أبيض شديد البياض)، وإحدى عينية قائمة كأنها كوكب دري، وكأن شعر رأسه أغصان شجرة[8].

قال حذيفة ﷺ: ((فرأيا –أي النبي ﷺ وجبريل عليه السلام– الجنة، والنار، ووعد الآخرة أجمع))[9]. وقد امتلأت كثير من الكتب التي تتحدث عن الإسراء بذكر مشاهد من

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري: ٤٨١/١١: (ما جاء بالنون أي طينة هو المعتمد).
(٢) أذفر: أي طيب الريح.
(٣) رواه البخاري: برقم (٤٩٦٤).
(٤) وينبغي أن نعلم: أن هذا الكوثر مرتبط بحوض نبينا ﷺ، كما جاء في صحيح مسلم (٤٠٠) عن أنس في حديث نزول سورة الكوثر، قال النبي ﷺ: ((أتدرون ما الكوثر؟!، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة...)) الحديث، يقول الحافظ [فتح الباري: ٤٧٤/١١]: (والكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه)، وقول الحافظ هذا يؤيده ما جاء عند مسلم في صحيحه: برقم (٢٣٠٠)، عن أبي ذر لما سُئل النبي ﷺ عن الحوض فقال ﷺ في الحديث: ((...يشخب [أي يصب] فيه ميزابان من الجنة))، والميزاب: قناة يجري فيها الماء.
(٥) حديث عن أبي هريرة، رواه مسلم: برقم (١٧٢).
(٦) حديث عن ابن عباس، رواه البخاري: برقم (٣٢٣٩).
(٧) عن ابن عباس، رواه البخاري: برقم (٣٢٣٩).
(٨) جاء هذا الوصف في حديث ابن عباس الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٧٤/١.
(٩) حديث حسن، رواه الإمام أحمد: ٣٨٧/٥، عن حذيفة بن اليمان.

تعذيب أهل النار، زعموا أن النبي ﷺ رآها في معراجه، والصحيح أن بعضًا من هذه المشاهد التي ذكروها رآها النبي ﷺ حقًا لكن في منامه وليس في معراجه، ويغلب على الباقي الضعف الشديد وعدم الصحة، مما لا يجوز التحديث به عن رسول الله ﷺ.

وممَّا جاء إلينا صحيحًا في ذلك، هو ما يأتي[1]:

١-عن أنس: أن النبي ﷺ قال: ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم))[2]. فليحذر كل مسلم مثل هذا العقاب، وليتق الله في عرض أخيه، وليمسك على لسانه فإن اللسان من أخطر حواس الإنسان، ألم تر أن الحروب والصراعات قد تنشأ بين الدول بكلمات، أو يفرق بين الرجل وامرأته بكلمات؟! بل وأخطر من هذا: أنه قد ينتقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر بكلمات.

٢-وجاء عن أنس ﷺ أيضًا أن النبي ﷺ قال: ((مررتُ ليلة أُسري بي على قومٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جبريل؟ قَالَ: خُطَبَاءً أمتي مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون وكتاب الله ولا يعملون به كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون))[3].

فهذا الحديث بمثابة تحذير نبوي لكل داعية، بل لكل مسلم يخالف فعلُه قولَه.

٣-إنَّ هدايا رب البرية إلى سيد البشرية وأمته الإسلامية في رحلة المعراج السماوية لم تتوقف على كونها احتفالاً وتشريفًا وتكريمًا لنبينا ﷺ فقط، بل جعل الله ﷻ فيها ما يعود نفعه على الأمة الإسلامية كلها، فإن الله ﷻ أعطى لنبينا ﷺ هدايا (إن جاز لنا التعبير) لأمته التي هي خير الأمم، فما هي هذه الهدايا؟

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: ((لما اسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئًا من أمته المقحمات))[4].

---

(١) ينظر: إضاءة السراج: ص١٠١-١٠٢.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد: ٢٢٤/٣، عن أنس بن مالك.

(٣) صحيح بمجموع طرقه، رواه الإمام أحمد: ١٢٠/٣، عن أنس بن مالك.

(٤) المقحمات: هي الذنوب العظام التي تُقحِم (تدخل) صاحبها النار. وحديث ابن مسعود رواه مسلم: برقم (١٧٣).

الفوائد والحِكَم والأحكام المستفادة من هذه الأحداث:

١. في رؤية النبي ﷺ الجنة والنار في معراجه دليلٌ لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن الجنة في السماء، والله أعلم[١].

٢. إنَّ ما ورد من رؤية بعض خطباء أمة الإسلام ليس معناه ذم العلماء والخطباء على أمرهم بالبر مع تركهم لفعله، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف، وذهب بعضهم إلى أن: مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، والصحيح: أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن أرتكبه. قال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟! وقال ابن كثير معقبًا: لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم[٢].

٣. قوله: ((وأعطي خواتيم سورة البقرة)) أي: من قوله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦] إلى آخر السورة، معنى ذلك: أنه أعطي إجابة دعواتها[٣]، ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا بابٌ من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أُوتيتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتهُ))[٤]. وقد جاء في فضل تلك الخواتيم ما يفيد أنها تدفع عن قارئها الشر والمكروه بإذن الله، ومن ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الآيتان من آخر

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: (٤٦١/١).
(٢) تفسير ابن كثير: (٨٦/١).
(٣) ينظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية: ١١٦/٩.
(٤) رواه مسلم (٨٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سورة البقرة من قرأهما في ليلةٍ كفتاهُ))[1]. وقال الحافظ رحمه الله: (قول النبي ﷺ: "كفتاه" يحتمل أي: في القيام في صلاة الليل، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن)[2]، ثم ذكر أقوالاً أخرى.

وقال الشوكاني: (ولا مانع من إرادة هذه الأمور جميعها، ويؤيد ذلك ما تقرر في علم المعاني والبيان من أن حذف المُتعلَق مشعر بالتعميم، فكأنه قال: كفتاه من كل شر ومن كل ما يخاف، وفضل الله واسع)[3].

٤. وأما مغفرة المقحمات لمن لم يشرك بالله شيئًا[4]، فهذا من رحمة الله ﷻ بهذه الأمة أنه يغفر الذنوب جميعًا، ليس الصغير منها فقط، بل والكبير أيضًا، لأن عفو الله ومغفرته أعظم من ذنب العبد، لكن تلك المغفرة خاصة لمن لم يشرك بالله شيئًا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]. ومغفرة الله ﷻ الكبائر لمسلمي هذه الأمة، قد يقع على أحد شكلين وهما:

أ. إما أن يتوب الله عليهم فيغفر لهم ويمحوها عنهم ولا يعاقبهم بها، وهذا ثابت لمن صدقت توبته.

ب. أن لا يخلد صاحب هذا الذنب في النار إن دخلها، وهذا إن مات العبد على التوحيد وهو مقيم على الذنب لم يتب منه، أو لم يقبل الله توبته لعدم صدقه، كما قال النووي رحمه الله[5] في تعليقه على هذا الحديث، حيث قال: (والمراد بغفرانها أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً، فقد تقررت نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة الموحدين)[6].

---

(١) رواه البخاري: برقم (٥٠٤٠)؛ ومسلم: برقم (٨٠٨)، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

(٢) فتح الباري: ٦٧٣/٨.

(٣) نقله ذلك عنه صاحب "تحفة الأحوذي": ١٥٢/٨.

(٤) في هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة ومن سار على مذهبهم في تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي: (٤/٢).

(٦) وهذا إن لم يعفِ الله عنه، فعند البخاري برقم(١٨) عن عبادة بن الصامت ﷺ: أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيدكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه))، وروى نحوه مسلم برقم(١٧٠٩) عن عبادة ﷺ.

الخاتمة

بعد أن انتهينا -بفضل الله- من هذا البحث الممتع في ظل أنوار الإسراء والمعراج، فقد تبين لنا أن هذه الحادثة آية باهرة وكرامة عظمى أكرم الله سبحانه وتعالى بها نبينا محمد ﷺ الذي هو سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين، ونحن مهما حاولنا البحث والتأمل فيها فلن نفي بحقها وعظمتها، ولكننا نرجو الله أن نكون قد وفقنا في بيان بعض ما في هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على حبيبه المصطفى ﷺ.

وفيما يأتي أهم النتائج التي يمكن أن نستخلصها من البحث:

١- عظيم قدرة الله تبارك وتعالى، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢- إن حادثة الإسراء والمعراج تُعَدُّ -بحق- معجزةً فريدةً في بابها، فهي معجزة في إعجازها، قد أعجزت ما سواها من المعجزات الحسية عن مشابهتها، وامتازت عنها باعتبارات متعددة (كمًا، وكيفًا، وزمنًا، ومكانًا، وغايةً، وإضافةً، وفوائد ومنافع مستفادة منها)، وتوضيح ذلك بما يلي:

أ - من حيث الكَم (العدد): فهي واحدة في اسمها ولكنها متعددة في حقيقتها، إذ اشتملت على معجزات كثيرة وآيات باهرة شهدها النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[النجم:١٨].

ب- من حيث الكيف (الكيفية التي حصلت بها): اشتملت على حوادث كثيرة بزمن يسير (جزء من الليل).

ج- من حيث الإضافة (تعلقها بالأشخاص المراد إعجازهم): حيث كان تعلقها بأشخاص لم تجرِ أحداثها أمامهم ولم يصلهم منها إلاَّ أخبارها وبعض آثارها.

د- من حيث الزمن: وامتازت من وجهين:

الأول: حصولها في وقت الليل حيث لم يتواجد أحدٌ ممن يُقصد بإعجازه بها، فهي حادثة غير مُشاهدة من أحد، الأمر الذي يثير الريبة في نفوس ضعيفي الإيمان حتى أنه ارتد بعضهم عن الإسلام.

الثاني: حصولها في زمن استضعاف المسلمين والدعوة وشدة تضييق مشركي مكة على النبي ﷺ.

وهذين الأمرين يدلان بمجموعهما على أمرين: أحدهما: رسوخ إيمان المسلمين الأوائل (الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين)، والثاني: أن الدين أساسًا يستند إلى الوحي الإلهي وليس هو اجتهادات بشرية مجردة تخضع لحسابات الربح والخسارة المادية والمصلحة العقلية المجردة، لذا كانت المصالح المعتبرة في شرعنا هي ما لا يعارض نصا شرعيا صحيحا ويحقق مقصدا شرعيا ثبت بالشرع.

هـ- من حيث المكان: فكثير من أحداثها كان في السموات العلى، بل وصل نبينا الكريم إلى

حيث لم يصل نبيٌ مُرسَلٌ ولا مَلَكٌ مُقرَبٌ.

و- من حيث الغاية (الحكمة الإلهية): فقد اشتملت هذه المعجزة على أكثر من مقصد وحكمة، من أهمها:

الأول: مواساة النبي ﷺ على المحن والابتلاءات (فَقْد العزيز والنصير، وشدة تضييق العدو).

الثاني: تكريم النبي ﷺ وبيان مقامه الشريف عند أهل السماء والأرض،والاحتفال بذلك في حياته ﷺ.

الثالث: تمحيص المؤمنين وتمييزهم عن أهل الشك والشرك.

الرابع: أنه -مع كل ما سبق- تهيئة للنبي ﷺ والمؤمنين لما سيحدث في مستقبل الأيام من الأحداث العظام في طريق سياسة الدولة الإسلامية وقيادة الأمة الفتية إلى برِّ الأمان.

ز- من حيث الفوائد والمنافع المستفادة: ففيها من التشريعات والمصالح الشيء الكثير، منها: (تشريع الصلاة المفروضة، والتنبيه على مراتب الأنبياء والناس، وبيان منازل الأعمال، والتحذير من المحظورات، والتحريض على أعمال الخير والصلاح).

٣-الأمل الدائم أنّ الله ناصرٌ دينه وخاذل أعداءه، ويجب أن يوقن كل مسلم أنّ مع العسر يسرا، وأنّ الفرج مع الصبر والاستجابة مع الدعاء والظفر مع الثبات على الحق، وأنّه تعالى لا يخلف وعده.

٤-أنّ يبادر المسلمون إلى نشر الدعوة والحوار مع الغير، وضرورة الحضور الإسلامي في تجمعات الناس والتقدم إليهم برسالة الإسلام في هدوء وحكمة مثلما كان هدي النبي ﷺ.

٥-الاغترف من معين النبوة الصافي في الرفق بالناس ونبذ الرغبة في الانتقام منهم، فالصبر مع الرفق بالمدعوين يكون سببا في هدايتهم أو هداية أولادهم، وحينئذٍ يفوز الدعاة برفيع الدرجات والفوز بالجنات.

٦-إنّ الأنبياء كلهم على دين واحد وملة واحدة، وهو الإسلام، يجتمعون عليه وإن اختلفت تشريعاتهم.

٧-علو منزلة نبينا ﷺ وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليلٌ على إمامته وعلو درجته، فكانت هذه الإمامة إقرارا مبينا بأنّ الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، التي أخذت تمامها على يد نبيه محمد ﷺ بعد أن وطّأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين، والكشف عن منزلته ﷺ ودينه لم تكن مدحا يساق في حفل تكريم، بل هو بيانُ حقيقة مقررة.

٨-نبينا ﷺ كريم المنزلة عند الله تبارك وتعالى، وانه إمام الأنبياء والمرسلين وسيدهم؛ فقد كانت صلاته بهم في بيت المقدس لإظهار عظيم فضله وشرفه، وأنّه إمامهم، وأنّ شريعته ناسخ لجميع الشرائع.

٩- إنّ الأمة الإسلامية جبلت على المحجة البيضاء والفطرة السليمة.

١٠-كان بيت المقدس محطة الإسراء النهائية وأول محطات رحلة المعراج، فالرحلة من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلةٌ مختارة من اللطيف الخبير، تربط عقيدة التوحيد الكبرى، من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمدﷺ خاتم النبيين، وتربط الأماكن المقدسة لدين التوحيد برباط واحد، وكأنما أريد بها إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا، فهي ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع.

١١-كانت صلاة النبي ﷺ بالأنبياء تعني تسليم قيادة هذا العالم التائه إلى نبينا ﷺ، ثم تتولى الأمة الإسلامية من بعده ﷺ هذه المهمة العظيمة، ولا شك أن بيت المقدس أصبح أيضًا من مسئوليته ومسئولية أمته من بعده في صيانته والحفاظ عليه، فقد كان الإسراء إلى بيت المقدس إشارة ربانية تظهر فضله وشرف مكانته ووجوب المحافظة عليه والذود عن حماه وفك أسره من أيدي الغاصبين، فلينتبه المسلمون إلى ضرورة الشعور بالمسئولية عن تحرير المسجد الأقصى ومساندة شعب فلسطين.

١٢-عظم منزلة الصلاة عند الله ﷻ حيث لم يكتفِ ﷻ أن يرسل جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ فيوجب عليه الصلاة، وإنما رفعه إلى السماء ليكون التكليف مباشرًا وبدون واسطة، وعلى الأمة أن تستشعر أنّ الصلاة عروج روحي خمس مرات في كل يوم، وعليه يجب أن نعيد صياغة الحياة على وفق شعيرة الصلاة حتى تصبغ حياتنا بصبغة الإيمان ومكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

١٣-أهمية الأخذ بالابتكارات العلمية في المواصلات والاتصالات، إذ إنّ أول فضائية ربانية كانت تعرض للنبيﷺ صورة المسجد الأقصى، فحريٌ بالأمة السبق العلمي في كل المجالات النافعة للإنسانية كلها.

وإني لأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواننا المسلمين، وأن يجعله يوم الدين حجة لنا لا علينا، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،
وسبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين،
والحمد لله ربِّ العالمين .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. أحاديث الإسراء والمعراج عرض وتحليل، نزار عبد القادر ريان، الجامعة الإسلامية، فلسطين، د.ت.
٢. الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ.
٣. الإسراء والمعراج، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١، د.ت.
٤. إضاءة السراج بما جاء في الإسراء والمعراج، جمعه وحققه أحمد بن إبراهيم الجابري، راجعه وقدم له فضيلة الشيخ مصطفى بن العدوى، دار ابن رجب، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦.
٥. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ ، طبعة بيروت، د.ت .
٦. الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، للإمام جلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
٧. البداية والنهاية، لابن كثير، بإشراف مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٨. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
٩. تفسير الطبري، لشيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري، طبعة دار الكتب العلمية، د.ت.
١٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية، طبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.
١١. الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٢. حاشية السندي على سنن النسائي، لأبي الحسن نو الدين بن عبد الهادي السندي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي، تصحيح محمد الغمراوي، دارالمعرفة، بيروت،د.ت.
١٤. دلائل النبوة، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د.عبد المعطى قلعجي، دار الريان للتراث، د.ت.
١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
١٧. السراج الوهاج في حقائق الإسراء والمعراج، لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار بوسلامة، تونس، ط١، ١٩٨٣م.

١٨. شرح العقائد النسفية، للعلامة سعد الدين التفتازاني، المطبعة الأزهرية، مصر، ط١، ١٣٣١هـ.
١٩. شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، د.ت.
٢٠. شرح صحيح مسلم، للإمام محي الدين يحيى النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٣٤٩هـ.
٢١. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٢. صحيح مسلم، للإمام المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١، د.ت.
٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، د.ت.
٢٤. الفقه الأكبر في التوحيد، للإمام أبي حنيفة النعمان، تعليق: محمود عمران،مطبعة اسعد،بغداد، ١٩٩٠م.
٢٥. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور الأفريقي، طبعة بولاق، القاهرة، د.ت.
٢٦. مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢م.
٢٧. مسند الإمام احمد، للإمام احمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، بيروت، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٢٨. المعجم الكبير، للإمام الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٠م.
٣٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للحافظ أبي العبَّاس أحمد القرطبيُّ، طبعة بيروت، د.ت.